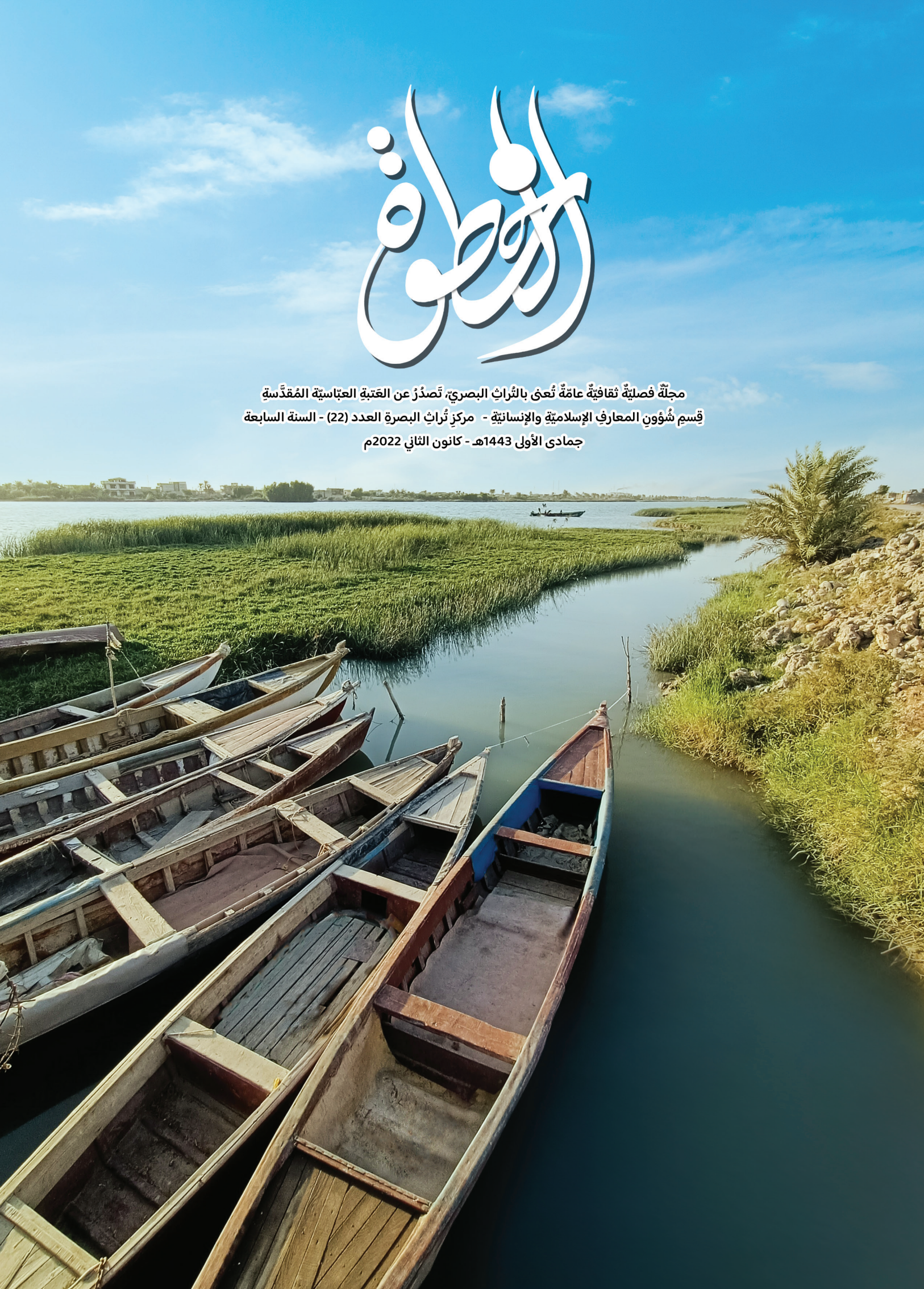


الرافدة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ
قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ العدد (22) - السنة السابعة
جمادى الأولى 1443هـ - كانون الثاني 2022م



لوحةٌ للفنان نديم البصريّ

كلمة العدد

السياسةُ بين قُدسيّة المفهوم

ومافيا الواقع

رُبَّما نغفلُ عن أنَّ السياسةَ مفهومٌ مُقدَّسٌ يكتسب قُدسيّته من كونها خدمةً للمجتمع والإنسان بما تقدِّمه من نَظمِ الأمور، وتوفيرِ ما ييسّر حياةَ الإنسان، والعملِ على سعادته، وتمكينِه من تحقيق أهدافه.

ومن هنا، نجدُ أنَّ وصفَ الساسةِ كانَ صِفةً لأهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في الزيارة الجامعة وصفُهم بأنّهم : (ساسةُ العباد، وأركانُ البلاد)، وكذا مارس السياسةَ النبيُّ الأكرمُ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بعده أميرُ المؤمنين عليه السلام، ولو كانت السياسةُ مفهوماً سلبيّاً، لَما حظيت بذلك كُلِّه.

لكنَّ ما نجدُه في الواقع من انحرافِ العملِ السياسيِّ، وتحوّلِه إلى أداةٍ للفسادِ الإداريِّ، والماليّ، والهيمنةِ على الآخرين بالوسائل المشروعة وغيرِ المشروعة كلّها، واستعمالِ الإنسان كدروعٍ بشريّةٍ في الحروب السياسيّة، وجعلِه مختبراً لقراراتِ الساسة، ووسيلةً للضغط على الحكومات من خلال تجويعه، واضطهادِه، يمكّننا من أن نصفَ السياسةَ العالميّة بأنّها سياسة: (العالم ضدّ العالم).

وللأسف، نجدُ الإعلامَ يمارس دوراً كبيراً في تلك الحرب القذرة، وأصبحَ أداةً بيد مافيا السياسيّة؛ فحينما تفتح أيّة قناة من قنوات التلفاز الكثيرة، تجد الحديثَ عن القتل، والتفجير، والاختطاف، والفساد، والتهديد بالحروب، والخلافاتِ السياسيّة الحادّة، والحديثَ عن المؤامراتِ، وذلك كُلُّه عنصرُ ضغطٍ يضافُ على كاهل الإنسان، ويشكّلُ إرهاقا مقزّزاً لوجوده النفسيّ، والجسديّ، والماديّ.

وببساطةٍ: سياسة العالم اليوم أوصلتنا إلى أنَّ: (العالم لا يثق بالعالم)، وانعدام الثقة المجتمعيّة والعالميّة يعني: انعدامَ الأمان، ومن المعلوم: أنَّ الأمانَ هو رأسُ مال الحياة، وأوّل حَجر في تصحيح المَسار، والانطلاق نحو أُفُق إيجابيّ.

اقْرَأ في هذا العدد...

١١ مركزُ تُراث البصرة يستقبلُ مديرَ مركز ابن مَيثَمٍ البحرانيِّ للدراسات والتُّراث

١٣ جامعُ الجُنَيْنَة المعروف بجامع الكِرناويّ، وما يحملُه من روحانيّة وقدسيّة

٢٠ من ذاكرة المَوانئ والمعقل (مَنطَقة التّموين)، كانت النواةَ لدائرةِ ومخازنِ الهَندَسة المدنيّة في المَعقَل

٣٥ الرحّالةُ الأجانبُ في القرنَين: التاسعَ عَشَرَ والعشرينَ والبَلَم العَشّاريّ

٤١ كاظم مكّي حَسن (١٩١٢-١٩٨٣م)، وأسلوبُه الأدبي

٤٣ رحلةُ البرتغاليّ (بيدرو تيخيرا)

٥٨ من أعْلام البَصرة، الشاعرُ الأديبُ عبدُ الله بنُ أيّوب الخُرَيْبِيّ

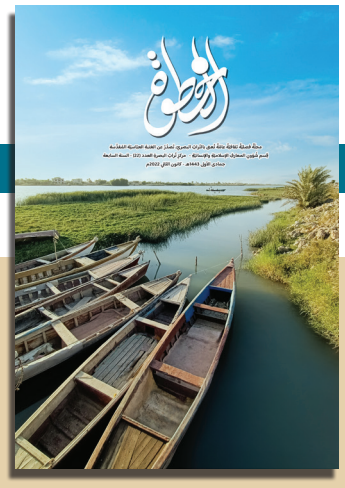
٦٦ على دكّةِ العشقِ الأبديّ

٧٣ أمُّ الصَّهْباء، مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، العَدَوِيَّةُ البَصْرِيَّةُ (ت٨٣ هـ/٧٠٢م): التابعيّةُ الزاهدة

٧٦ قراءةٌ في كتاب، (مِشْكاةُ القصّة)







مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ - قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ. العدد (٢٢) - السنة السابعة. جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - كانون الثاني ٢٠٢٢م

رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٩٧٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيداني - أ.د حسين المصطفى - الأستاذ محمد صالح عبد الرضا - الأستاذ كريم علاوي - د. صباح العبادي - د. محمد قاسم - د.خليل خلف بشير - الأستاذ حسين العطية - مهدي الخزاعي - محمد البصري - أبو محمد الشطري - إيمان طالب

الإشراف العـــام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيـس التحريـــر
ياسين يوسف اليوسف

مدير التحريـــر
الدكتور عامر السّعد

سكرتير التحريـــر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـــــر
الشيخ مُدرِك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن - عبد العزيز مسلم.

الإشراف اللغـــوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس -أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العلي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣ -٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

تنويه:
ماننشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.

للتواصل معنا

ولاةُ البصرةِ العثمانيون لمحةٌ تاريخيةٌ عامّة..

عنوانُ ندوةٍ تراثيَّةٍ فكريّة أقامها مركز تراث البصرة

تعدُّ مدينة البصرة في فترة نفوذ وحكم العثمانيين إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية وقد شهدت في تلك الفترة اضطرابات عديدة و مِنْ أجل تسليط الضّوء على هذه الحقبة الزمنية المهمة في تاريخ البصرة وإبراز التُّراث البصريّ ؛ أقام (مركز تراث البصرة) التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة يوم السَّبت: (١١/ ١٢ /٢٠٢١م)، ندوة فكريَّة حواريَّة بعنوان: (ولاة البصرة العثمانيون / لمحة تاريخية عامة)، تحدَّث فيها الاستاذ الدكتور حسين علي عبيد المصطفى بإسهابٍ وتفصيلٍ علميّ دقيقٍ عن تلك الحقبة الزمنية المهمة من تاريخ البصرة بشكل خاص والعراق عامّة والتي امتدت لما يقرب من أربعة قرون.





الندوةُ أُقيمت في مقر المركز وأدارها التدريسي بكلية التربية للعلوم الإنسانيّة - جامعة البصرة الأستاذ الدكتور شكري ناصر عبد الحسن، وحاضر فيها الاستاذ الدكتور المصطفى شهدت حضوراً نوعياً لشريحة الاساتذة من جامعة البصرة وبعض المهتمين والمختصين بالتاريخ العراقي الحديث اختُتِمت بجملةٍ من المداخلات شملت العديد من الاستفسارات والأسئلة والاستفهامات من قبل الحاضرين عن تلك الحقبة الزمنية، وقام المحاضر بدوره بالإجابة عنها وتوضيح ما يلزم توضيحه.

الجديرُ بالذكّرِ أنَّ المركزَ بحكم تخصصه التراثيٌّ دأب على إحياءِ التُراثِ البصريّ ونشره، ولهُ عشرات الإصدارات التُراثيّة، وأقام الكثير من الندوات والمعارض المهمّة.









في إطار زياراته الميدانيّة:

المركزُ يزورُ مكتبةَ البصرة

زار وفدٌ من مركز تراث البصرة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، (مكتبةَ البصرة)، والتقى سماحةَ الشيخ عليّاً العليّ (حفظه الله)، المشرفَ على مشروع المكتبة، وجاءت هذه الزيارة بغيةَ تعزيز العلاقاتِ المشتركة بين الجانبين لما يخدم البصرة الفَيحاء وتراثها الثرّ.



وفي لقاء أجرته (مجلّة الخطوة) مع سماحةِ الشيخ العليّ، قال سماحتُه: إنَّ مكتبةَ البصرة مشروعٌ ثقافيٌّ سيفتتح قريباً؛ بأهداف متعددة، منها: احتضان أهالي هذه المحافظة المعطاء من المثقّفين والأدباء، وإقامة الأمسيات الأدبيّة بما يتناسب ومكانة البصرة التاريخيّة والحضاريّة.



مركزُ تُراث البصرة

يستقبلُ وفداً من مُدراء منظّمات المجتمع المدنيّ في المحافظة

استقبلَ مركزُ تُراث البصرة، التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، وفداً من مُدراء ومسؤولي منظّمات المجتمع المدنيّ في البصرة، يترأّسُه رئيسُ جمعيّة سيّدات أعمال المنطقة الجنوبيّة في البصرة، وعضو إدارة المجلس الاقتصاديّ العراقيّ، الدكتورة وفيقة المؤمن، و تبادل الجانبان وِجْهات النظر بما يخدم مدينة البصرة الحبيبة وأهلها الطيّبين.

وقد اطّلع الوفدُ الزائرُ خلال زيارته على أنشطة وأعمال المركز، وكذا تجوّلَ في مكتبته، مبدياً سروره وإعجابَه بما يقدّمه المركزُ ويقومُ به من دور في إحياء وحفظ تراث مدينة البصرة العَريق.

هذا، وقد ضمَّ الوفدُ كلّاً من: رئيس مؤسّسة مَهدِ العَطاء التنمويّة المستقلّة، الأستاذ واثق عبد القادر العيدانيّ، ومديرَ جمعيّة الزهراء فاطمة عليها السلام الخيريّة، الأستاذ باسم البزّونيّ، ومديرَ مركز الصَّقر للتنمية، الدكتور صقر، ومسؤول منظّمة البيادر للتنمية، الأستاذَ شاكر المكصوصيّ، ومنسّقَ منظّمات المجتمع المدنيّ بالبصرة، السيّدَ عبد الرزّاق الصافي.

دورةٌ للسلامة المهنيّة لكوادر مركز تُراث البصرة

تقيمُها وَحْدةُ الصحّة والسلامة المهنيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة

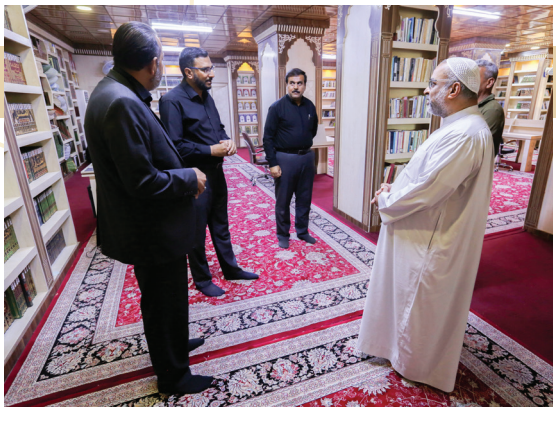




للحفاظ على سلامة المنتسبين من خلال توفير بيئة عمل آمنةٍ خاليةٍ من مسبِّبات الحوادث و الإصابات أو الأمراض المهنية، وللحفاظ على الأرواح والممتلكات قبل وقوع الإصابات والكوارث، أقيمت دورةٌ للسلامة المهنيّة لكوادر مركز تُراث البصرة، نظّمتها وحدةُ الصحّة والسلامة المهنيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

وقد بيَّن الأخوة المشرفين على الدورة أن العتبة العبّاسيّة المقدّسة تحرص كثيراً على توفير بيئة آمنة تسهم في الحفاظ على أرواح المنتسبين والممتلكات؛ لذا، درَّبت كوادرَ مختصّةً في التعامل مع أيّ حادث، سواءٌ أكان حريقاً، أم تَماساً كهربائيّاً، أم غير ذلك ممّا يهدّد بيئةَ العَمل وما فيها وأمنها.





مركزُ تُراث البصرة يستقبلُ مديرَ مركز ابن مَيثَم البحرانيِّ للدراساتِ والتُّراث

استقبلَ مركزُ تراث البصرة، التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والانسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، الباحثَ في التاريخ والتراث الإسلاميِّ، مديرَ مركز ابن مَيثمٍ البحرانيّ للدرسات والتراث في دولة البحرين الشقيقة، سماحةَ الشيخ محمّد بن عيسى آل مكباس البحرانيّ.

وقد اطّلع الضيفُ الكريم على أنشطة وأعمال المركز، وجال في أروقة مكتبته العامرة بمختلف النتاجات، مبدياً سرورَه وإعجابَه بما يقدّمهُ المركز من خدمات مختلفة، وبما يقوم به من دورٍ بارزٍ في إحياء تراث مدينة البصرة، وحفظ تراثها وديموميّته.

وفي الختام، اتّفق الجانبان على استمرار التعاون الثقافيّ المشترك بين المركزَين، لما يخدم الحركة العلميّة والتراثيّة في البلدين الشقيقين، وكذا تبادلا الإصدارات الخاصّة بالتراث البصريّ والبحرانيّ.



مجلّةُ (تُراث البصرة) المحكَّمة تواصل اجتماعاتِها الدوريّة

بحمدِ اللهِ تعالى ومنّه، عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تراث البصرة(المحكّمة، جلستَها الدّوريّةَ الـ(١٣١)، وذلكَ في مقرّ المركز، وبعد كلمات عن حياة النبي ﷺ وأبرز صفاته ألقاها سماحةُ الشيخ الدكتور محمود العيدانيّ مديرُ تحرير المجلّة بمناسبة أيّام مولده الشريف، تمَّتْ مناقشةُ جملة من الأُمور التي تخصُّ المجلَّة، منها: الضوابطُ الواردة من وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، التي تعتمد آليّة جديدةً في اعتماد المجلّات المحكّمة، وكذا ناقش الحضور بعضَ الأمور الفنّيّة التي تخصّ هيأةَ التحرير، علاوة على تأكيد ضرورة رفد المجلّة المحكّمة والثقافيّة بالبحوث والمقالات المناسبة.

وتخلّلَ الجلسةَ جملةٌ مِن الآراء قدَّمها الأعضاءُ في سياق المواضيع المطروحة، علاوة على إثراء المجلّة بما يخدم إحياءَ وحفظَ تراثِ مدينتِنا الحَبيبة.

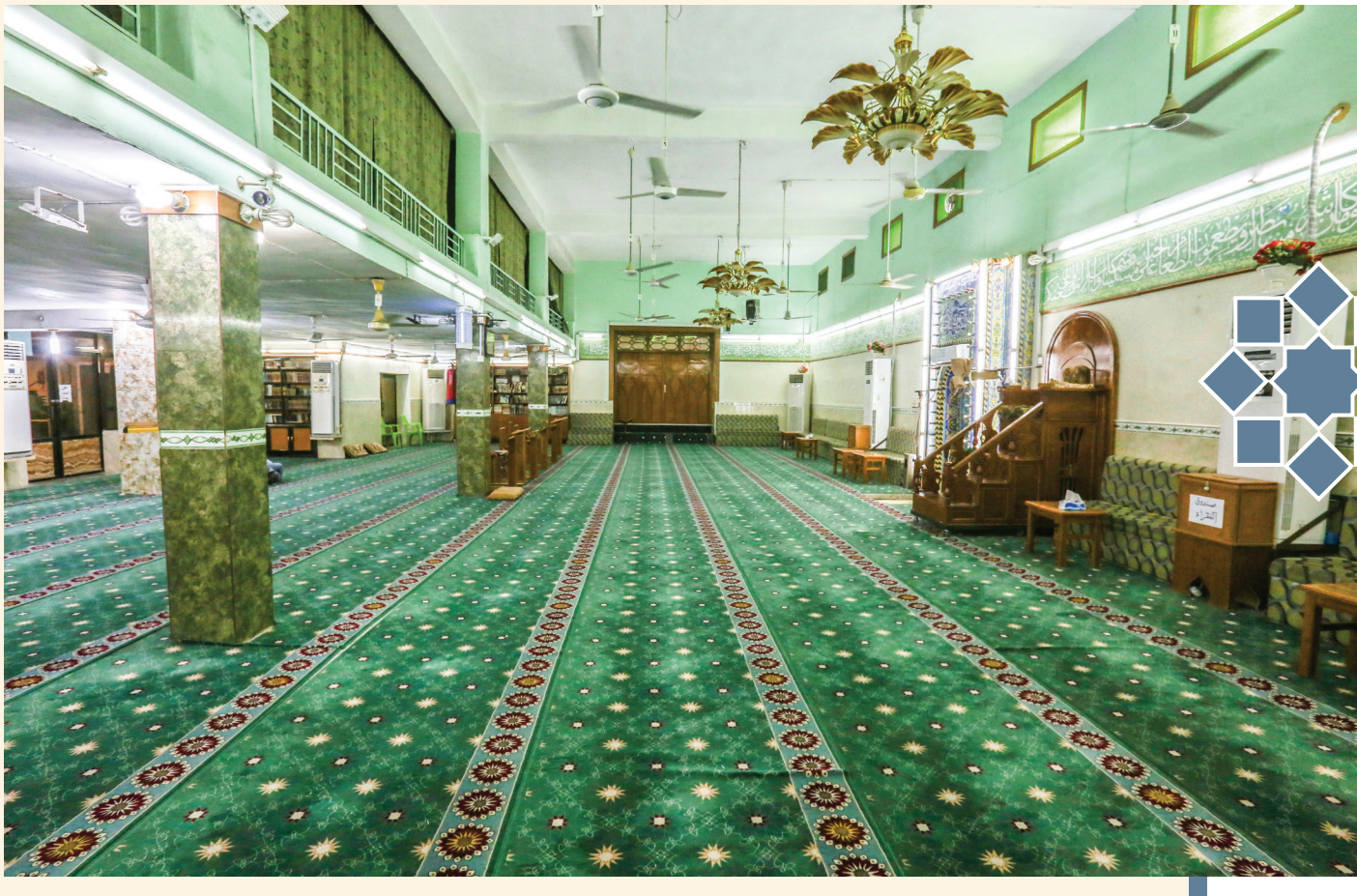


جامعُ الجُنَيْنَة

المعروف بجامع الكِرناويّ، وما يحملُه من روحانيّة وقدسيّة

محمد ثائر الزيدي

ظلَّ المسجدُ على امتداد تاريخ المسلمين يمثّل إحدى أبرز المؤسَّسات التعليميّة للصغار والكبار، ومن أهمّ الحواضن التربويّة التي تحقّقُ الأهدافَ العمليّةَ لتربية الناس عامّة، والشباب خاصّة، وكذا أدّى أدواراً متنوّعة منذ تأسيسه وإلى يومنا هذا؛ ففيه تُتَّخذُ القراراتُ المصيريّةُ، وتفضُّ النزاعاتُ والخصوماتُ بين الناس، ومنه تنطلق الثقافةُ المجتمعيّةُ، وبداخله تعقد الحلقاتُ النقاشيّةُ والبحثيّةُ، والحواراتُ العلميّةُ الموضوعيّةُ، فهو مدرسة متكاملةٌ، فضلاً عمّا يُقام به من عبادات وطاعات، وما يحمله من روحانيّة وقدسيّة جعلت منه مكاناً تهوي إليه القلوبُ، وتشتاقه النفوسُ.



وقد عُرفت البصرةُ بمساجدها، المنتشرةِ في مناطقها المختلفة، ومنها: جامع الكَرناوي، الذي يزخر بالعطاء والذكر.

الموقعُ وعامُ التأسيس

في منطقة الجُنَيْنَة، التي تقع في وسط محافظة البصرة، شُيّد جامعُ (الكَرناوي)، الذي يعدُّ من الجوامع القديمة والمهمّة؛ إذ يجمع كلَّ أطراف المنطقة، مثل: حيّ الأندلس وتوابعها إلى الشارع الفاصل بين الجُنينة ودور الضبّاط، وهو من المساجد المشهورة في البصرة، يعود تاريخ بنائه لعام ١٩٦٤م، أسّسه الحاجّ، المرحوم عبد الرزاق الكَرناوي.

أنشطةُ المسجد

توجد في المسجد لجنة خاصّةٌ تقوم بالتحضير للمناسبات الدينيّة وإحيائها، فضلا عن كون الجامع مكاناً لإقامه الصلاة اليومية، والدعاء، والتضرع لله تعالى، فهو يحتضن أنشطةً دينيّةً واجتماعيّةً كثيرةً، منها: دوراتٌ فقهيةٌ، ودوراتٌ لحفظ القرآن تحمل أسم (دورات السيّد عبد الحكيم الصافي ﷺ)؛ لما للقرآن من دورٍ كبيرٍ في تهذيب النفوس، فهو ربيعٌ للقلوب، وجلاءٌ لها من الصَّدَأ، وتكون هذه الدورات -سابقاً- بإشراف سماحة السيد علي الصافي ﷺ، والدورات مفتوحة لكلا الجنسَين، وتتراوح أعمارُ المشاركين في الدورات بين ٥ سنوات و ١٢ سنة تقريباً؛ لأنّها الأعمارُ التي تعدُّ مناسبةً للاستيعاب والفهم، وغالباً ما تُخصّص جوائزُ تشجيعيّة لهؤلاء المشاركين، وفي كثير من الأحيان يتولّى الحاج (طه محمد) قراءةَ القرآن الكريم في المسجد، فتعمُّ الروحانيّةُ في أرجائه ونواحيه.

من الأنشطة البارزة المتميّزة في المسجد، وخصوصا ليالي الجُمع، قراءةُ سورة الفاتحة وإهداء ثوابها للأموات من خدّام

المسجد، وكذلك هناك برنامجٌ خاصٌّ في شهر رمضان لمدّة خمسةٍ وعشرين يوماً، ويخصّصُ كلُّ يومٍ لأحد الأموات، الذين كانوا في خدمة هذا الجامع المبارك، فهؤلاء تركوا بصماتِهم في هذا المسجدِ، ولهم حقوقٌ علينا لابدّ من أدائها.

وإلى جانب جميع ما تقدّمَ، هناك إقامةُ التشيع الرمزيّ لبعض أئمّة أهل البيت في ذكرى شهاداتهم عليهم السلام، هذا التشييع المَهيبُ، الذي يشترك فيه جميع أهالي المنطقة؛ نيلاً للثواب، ومواساةً لأهل البيت عليهم السلام.



زوّارُ المَسجد

كان مسجدُ الكَرناوي منذُ تأسيسه مقصداً للكثير من الشخصيّات العلمائيّة التي زارت البصرة، وكذا زاره الكثير من الخطباء البارزين، الذين ارتقوا المنبرَ الحسيني فيه، أمثال: الشيخ محمد رضا الحلفيّ، والشيخ عبد الرزاق الكوفي، والسيّد رعد أبو ريحة، والسيّد حيدر الموسويّ، والشيخ كرّار الساعدي، والشيخ عبد الكريم، والسيّد محمد الشوكي، و الشيخ نوري الأسدي، والشيخ جعفر، والشيخ ضياء المنصوري، وغيرِهم من الخطباء، الذين كان لهم الأثرُ البالغُ في ديمومة التبليغ الديني، ونشر الثقافة الحسينيّة في المنطقة من خلال المسجد.

المؤذّنون والخَدَم

أمّا أبرزُ من خَدم هذا الجامعَ، ومنهم من ارتفعت أصواتُهم وصدحت حناجرُهم بالأذان فيه، فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الحاجّ كاظم عودة، والحاجّ كاظم لفتة، والحاجّ حافظ خضيّر، والمرحوم الحاجّ شهيد شريف، والمرحوم الحاجّ محمد علي، والمرحوم الحاجّ عبّاس علي.

وأمّا أبرزُ من خدم المسجدَ، فالحاجّ خَلَف، والحاجّ عطا عبد الحسين (أبو زهير)، وهو من يقوم اليوم على خدمة وإدارة شؤون واحتياجات المسجد، والحاجّ عبد الرزّاق، والحاجّ طاهر كريم، والحاجّ حسن عبد الرزّاق، والحاجّ أسعد فالح، والحاجّ يوسف كاظم يحيى، وبدر كنعان، وناظم سبتي،

والحاجّ سلام عبد الكاظم عودة، والحاجّ عبد الصاحب، والحاجّ قيس جبار، والمرحوم الحاجّ علي عودة، والمرحوم سيّد سالم الجزائريّ، والمرحوم الحاجّ مجيد حميد، والمرحوم الحاجّ فالح حَسَن الأسديّ، والمرحوم الحاجّ جبر، وآخرون من المؤمنين الأتقياء، الذين خدموا المسجدَ بكلِّ تفانٍ وإخلاصٍ، وتركوا بصماتٍ طيّبةً في هذا المكان المبارك.

التوليةُ وأئمّةُ الجَماعة

أمّا توليةُ الجامع، فقد كانت من قِبَل سماحة السيّد عبد الحكيم الصافي ﷺ، وبعده نجلُه، السيد محمد عبد الحكيم الصافي.

وقد أمَّ الجماعةَ فيه سماحةُ السيّد محمّد عبد الحكيم الصافي، وسماحةُ السيّد علي الصافي، والشيخ علي القَطراني، والشيخ حاسب المظفَّر، والسيّد طه الحرّاك، أيَّدهم الله تعالى.

التطوُّرُ العمرانيّ

حدث بعضُ التطوّرِ و التعميرِ في المسجد من حيثُ الطلاءُ وتأسيسُ بعض الكهربائيّات، إلّا أنّه لم يحدث فيه تعمير و تطوّر من حيث البناء والتوسعة، وهو يحتاج الى الكثير، وما زال البناءُ كما كان عليه في زمن التأسيس.

يشغل المسجد مع ملحقاته مساحةً تصل الى أكثر من ١٠٠٠ م٢ تقريباً.

أيّامٌ عَصيبة

تعرَّضَ المسجدُ فيما سبق للكثير من المضايقات؛ فلم يكن يُسمح بإقامة الشعائر الحسينيّة فيه إلّا باستحصال الموافقات من أجهزة أمن الدولة، لكنَّ هذه المضايقات وهذا المنع لم يحُل بين خَدَمة المسجد والقائمين على شؤونه وبين إقامة الشعائر الحسينيّة، بل زادهم المنعُ حماساً وإصراراً على الاستمرار بإقامتها على أتمّ وجه.

كان هذا المسجد ومازال يعجُّ بالمؤمنين من مختلف الأعمار، وخاصّة فئة الشباب، فهو مكان خَصْبٌ لغَرس



الأخلاق والقِيَم الإسلاميّة، وبثِّ روح الوعي والإيمان، وتنميةِ الجوانبِ العقائديّة لدى الأفراد، وهكذا الحال في بقيّة مساجدنا، التي أُسّست على التقوى، فستبقى مناراتِ هدىً في طريق السائرين.



مرقدُ الشّيخ محمّد حسين فَرَج الله، المشهور بـ (أبي الخلخال)

بقلم: مهدي لعيبي الخزاعي

نبذة مختصرةٌ عن حياة الشيخ

هو: الشيخ محمد حسين، ابن الشيخ طاهر، ابن الشيخ محمد حسين، ابن الشيخ فرج الله الثاني، ابن الشيخ صالح، ابن الشيخ صافي، ابن الشيخ عبد النبي، ابن الشيخ عبد الإمام، ابن الشيخ علي بن الحسين، دفين نهر صالح، ابن الشيخ محمد، ابن الشيخ أحمد، ابن الشيخ فرج الله الكبير، المتوفى سنة ١٠٦٠هـ.

كانَ الشيخُ محمد حسين من أعلام هذه الأسرة؛ إذ ترجم له الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه: (ماضي النجف وحاضرها)[١].

وذكره الأديب المعاصر ضياء فرج الله، فقال: (العلّامة، الفاضل، الكامل، الشيخ محمد حسين، ابن الشيخ طاهر، ابن الشيخ محمد حسين، ابن الشيخ فرج الله، وكان من أهل العلم والفضل، ومحلّ سكنهِ قريةُ الخاصّ، التابعة لقضاء المدَيْنَة، وقد بقي في النجف الأشرف دارساً ومدرّساً على عادة مشايخ أسرتِهِ مدة من الزمان)[٢].

وللشيخ محمد حسين أخوان، هما: الشيخ عليّ، ولم يعقّب، والشيخ فاخر، وله عقبٌ يسكنون في القرنة (الشرش)، ومن أبناء الشيخ محمد حسين فرج الله: الشيخ كاظم، وابنُ الشيخ كاظم الحاجّ شنشول، ومن أبناء الشيخ شنشول الشيخ عبد النبيّ، الذي لازال يسكن قرية الخاصّ مع أبنائه وأبناء عمومته.

مرقدُهُ

ذكرَ المرقدَ عددٌ من الأعلام، وبعضٌ منهم اشتبه في نسبة المرقد لصاحبه؛ فقد ذكر السيّد حسين أبو سعيدة في موسوعته: (المشاهد المشرفة): «يوجد رمزٌ بموضعٍ مقابل العَلْوَة، يبعد حوالي ١٠ كيلو متر عن مدينة (العزير) من توابع

ميسان المحافظة، يسمّيه السوادُ محمّد أبو خلخال بن الإمام موسى الكاظم»[٣].

وقدعلّقَ عليهِ قائلاً: «فهذا الرمزُ مجهولٌ أصل نشأتهِ عندنا، فإن تحقّقتْ القبريةُ فيه، فهو شخصيةٌ مجهولةٌ تجري عليها احتمالاتٌ كثيرةٌ، والله أعلم»[٤] انتهى.

ثمَّ جاءَ أحدُ الأشخاص، فوضعَ لافتةً على القبر باسم (محمّد بن علي بن الحمزة الشبيه، ابن عبيدالله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام)، ولاتزال هذه العبارة مكتوبة داخل القبر ليومنا هذا، وهي نسبةٌ غيرُ صحيحة إطلاقاً، وهي من وهم العامّة.

وأمّا مَنْ أصابَ حقيقةَ صاحبِ المرقد، فهو الشيخ المحقق جعفر محبوبة في كتابهِ (ماضي النجف وحاضرها)، عندما ترجم للشيخ محمد حسين فرج الله بقوله: (كان من أعلام هذه الأسرة، أقامَ في النجف مدّة، وحصّلَ ما أراد من العلم، ثمَّ سافرَ إلى الجنوب، وتوفّي في سفره في حدود لواء العمارة من جهةِ البصرة، ودُفن على جانب دجلةَ الجنوبيّ في مكان يُعرف بالكسّارة، ولهُ مرقدٌ مشهورٌ يعرفُ بأبي خِلْخال، يكون على الطريق العامّ للذاهبِ إلى العمارة من العزير)[٥].

وهذا هو الصحيح في نسبة المرقد؛ فإنّ الشيخ جعفر محبوبة استقى المعلومة من أحد علماء أسرة آل فرج الله، وهو الشيخ الورع عبد الكريم نجل الشيخ حسين فرج الله، الذي عاصر الشيخ كاظم، المتوفى سنة ١٩٥٣م، ابن الشيخ محمد حسين صاحب المرقد، والشيخ كاظم هو أدرى الناس بقبر أبيه.

وأمّا الأديبُ المعاصرُ، الشيخ ضياء فرج الله، فقد ذكر شيئا من حياته ومرقده، فقال : وكانَ الشيخ محمد حسين أن نزلَ مريضاً على جماعة من العَرَب، فأحسنوا وفادَتَه،



وأكرموه، واعتنَوا به، وبقي عندهم فترةً قصيرةً حتّى توفّي إلى رحمة الله، فبادروا إلى غسلِهِ وتكفينهِ والصلاة عليهِ ودفنه قربَ ديارهم، ثم حدثَ أنْ ظَهَرَتْ لقبرهِ كراماتٌ يروونها، فبنَوا عليه بناءً، واعتادوا على زيارتهِ والتبرّك بهِ.

والمرقدُ اليوم يقعُ في ناحية الثّغر التابعة لقضاء القُرنة، وهو بناية كبيرةٌ عليه قبّةٌ خضراءُ مخروطيّة الشّكل، وله صحنٌ واسعٌ يقعُ على يّسار الذاهب من القُرنة إلى العِمارة، يأتي لزيارته الكثيرُ من المؤمنين لقراءة الفاتحة والتبرّك به.

حادثة

في يوم من الأيّام، زرتُ هذا المرقدَ، ولم أكن أعلم مَنْ هوصاحبهُ، فسألتُ يومَها إمرأةً كانت تخدم المرقدَ عن صاحب القبر، فأجابت :هذا مرقد (أبو الخلخال)، وأعطتني تراباً، وقالتْ هذا التراب من داخل قبره عند إعماره قبل سنوات، فعندما حفروا، خرجتْ الجثّةُ، واتصلوا بالسيّد وليد البعّاج، وحضر إلى هنا. وبعد رجوعي إلى البيت، قرّرتُ الذهاب إلى الباحث، السيد وليد البعاج (حفظه الله)، وتوجهتُ يوم ٢٠١٦/١٢/٨، وأتذكّر أنه صادف يومَ شهادة الإمام العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأوّل، فوصلتُ لبيت السيّد وليد البعّاج عصراً، وأجريتُ معه لقاءً لازلتُ أحتفظُ بهِ، وسألتُهُ عدّة أسئلة كان من ضمنها عن مرقد (أبو الخلخال)، وهل من صحيح أنكم وجدتم الجثة داخل القبر..؟ فأجاب السيّد: عندما حفروا القبرَ للإعمار، خرجتْ الجثّةُ، فاتّصلوا بي، ووصلتُ إلى هناك، فرأيتُ الجثّةَ بعيني.... وتمّ إعمار القبر ووضع الجثّة فيه. انتهى.

ثمَّ سألتُهُ عن صاحب القبر ونسبهِ، فقال: لحد الآن لم أقفْ على حقيقتهِ، فبادرتُهُ بالسؤال: ومَنْ وضعَ على القبر لافتة باسم (محمد بن علي بن الحمزة الشبيه، بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام)؟ فأجابني: وضعها شخصٌ حتى يقرؤا الفاتحة لصاحب القبر.

وقد التقى السيد وليد البعّاج بهذا الشخص، فقال لهُ



السيد: ماذا صنعتَ؟! لأنّ الناس ستعتقد بأنَّ القبر لمحمد بن علي كما موجود في اللوحة... وبالفعل، لحد الآن هذه النسبة الخاطئة للمرقد موجودة ومكتوبة على المرقد.

وعلى أثر ذلك، قمتُ بالبحث عن صاحب القبر بين بطون الكتب علّني أصل إلى حقيقته.. وفي ليلةٍ من ليالي الشتاء الممطرة، كنتُ أطالعُ كتاب (ماضي النجف وحاضرها)، للشيخ جعفر محبوبة؛ لأتعرَّفَ على الأُسَر العلمية، وإذا بعينيّ تقعان على أسرة فرج الله التي ترجمها الشيخ في الجزء الثالث، (ص ٥٩ - ٦٠)، وقد ذكر ضمن علمائها المترجم لهم الشيخ محمد حسين فرج الله، ذاكراً موضعَ قبره، فما كانَ منّي إلّا الاتصال بالسيّد وليد البعّاج، فأخبرتُهُ بذلك، فقال: أرحتَني أراحَكَ الله...

الهوامش

١- ينظر:ماضي النجف وحاضرها: ج٣، ص٦٠.
٢- لقاء مع الاديب عام ٢٠١٨م
٣- المشاهد المشرفة: ج٢، ص٢٥٤.
٤- المصدر السابق نفسه
٥- ينظر:ماضي النجف وحاضرها: ج٣، ص٦٠.



[Royal Air Force Official Photograph, Crown Copyright Reserved.
SECTION OF THE PORT MARINE DOCKYARD AND WORKSHOPS, MARGIL, BASRAH.

من ذاكرة المَوانئ والمعقل (مَنطَقة التّموين)

كانت النواةَ لدائرةِ ومخازنِ الهَندَسة المدنيّة في المَعقَل

الأستاذ حسين العطيّة

عندما احتلّت القوّاتُ البريطانيّةُ البصرةَ في الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤، أنشأت لها عدّةَ مقرّات وقواعدَ، منها: مطارُ الشُّعَيْبَة العسكريّ، والقاعدة الجوّيّة (R.F)، التي تمّ إنشاءُ القاعدة البحريّة مكانَها فيما بعد، و ميناءٌ عسكريٌّ في قَضاء شطّ العرب (التنّومة)، تمّ نقلُه إلى المعقل، وتحويلُه إلى ميناء مدنيّ بتاريخ ١٩١٩/٩/١٠، بعد انتهاء الحرب، إذ قُسّمت إدارةُ الموانئ إلى أربع شعب، هي: البحريّة، والنقل، والماليّة، والهندسة.

منطقةُ التّموين في المعقل تعملُ على تزويد القوّات البريطانيّة بالموادّ الغذائيّة التي كانت تجلبُها البواخرُ، وكانت النواةَ لتأسيس دائرة الهندسة المدنيّة، أقدمِ أهمِّ التشكيلاتِ عند بداية إنشاءِ الموانئ، وبقيَ مركزُ التموين حتّى أثناء الحرب العالميّة الثانية (١٩٣٦ - ١٩٤٥) يزوّد القوّاتِ البريطانيّةَ بالموادّ الغذائيّة المختلفة.



[Royal Air Force Official Photograph, Crown Copyright Reserved.
AERIAL VIEW OF BASRAH AIR PORT SHOWING TERMINAL BUILDINGS AND SEAPLANE FACILITIES UNDER CONSTRUCTION.

وبعد جَلاء هذهِ القوّاتِ، بقي مركز التّموين يجهّزُ العوائلَ الفقيرةَ منها بواسطة القسائم التي زُوّدوا بها.

وعندما اشتدّ الحصار على البصرةِ، وحدثت المجاعةُ نتيجةَ قطعِ طُرق الإمدادات الغذائيّة جرّاء الحربِ وحركةِ رشيد عالي الكيلانيّ سنة ١٩٤١م، كان أهالي المعقل يتوجّهون إلى مركز التموين لتزويدهم بالموادّ الغذائيّة، مثل: الرزّ، والطحين، والسّمن، لذلك، سُمّيَ هذا المكانُ (منطقة التموين)، ومن بقي من أهالي المعقل القدماء على قيد الحياة، وعاصرَ تلكَ الفترةَ، يتذكّر هذا الاسمَ.

وعند التجهيز يتجمّع أصحابُ (الحمير) في هذه المنطقة لنقل السلع التموينيّة، وكانت منطقةُ التموين تقعُ في البُقعة التي أنشأت عليها دائرةُ الهندسة المدنيّة الخارجيّة، ومخازنها التي شَغلت بناية مخازن منطقة التموين القديمة عبر الشارع جنوبا نفسها، يقابلها منطقة (جاينا كامب) China Camp، في هذه المنطقة كان هنالك بيتان متجاوران، أحدهما: يسكنه روبين انگرلي، والآخر: حبيب مانوئيل، الذي هو الآن عبارةٌ عن كنيسةٍ مهجورةٍ، وكان يقابلُهما مقرّ القيادة البريطانيّة، ومسبح الميناء، الذي كان يقوم بالخدمة فيه مجموعةٌ من الهنود، الذين جلبتهم القوّاتُ البريطانيّةُ معها، أمّا من الغرب، فيحدُّها شطُّ الترك، وكان سَكَنةُ هذهِ المنطقة يسارعون للتبضُّع من منطقة التموين قبل غيرهم.

من مُقتَرَبات منطقة التموين (الهندسة المدنيّة حاليا) محطّة قطار المَعقل، وملعبُ الموانئ، ومستوصفُ الوقاية الصحّيّة، وعندما تولّى اللواءُ الركنُ مُزهر الشاويُّ منصبَ مديرَ عام الموانئ سنة ١٩٥٨، أحدث فيها تطوّراتٍ كبيرةً شملت دائرةَ الهندسة المدنيّة؛ إذ أنشئت ورشُ الحِدادةِ والنجارةِ، وكذا أنشئ مطعمٌ للمنتسبين، ونظراً لقدم وضيق


GENERAL VIEW—MARGIL WHARVES.

مخازن الهندسة المدنيّة (مخازن التموين سابقا)، وعدم استيعابها، فقد تمّ هدمُها وبناءُ سقيفةٍ جديدة موحّدةٍ تتّسعُ مخازن الهندسة المدنية كافّةً، وذلك سنة ١٩٧٥، وقد عَثرَ أحدُ منتسبي مخازن الهندسة المدنيّة في إحدى زوايا مخزنه الكائنِ في بناية مخازنِ التموينِ القديمةِ على مغلَّفٍ كبيرٍ غطّته الأتربةُ، ولمّا أزاحَ الغبارَ، وفتحَه، تبيَّنَ أنّه يحتوي على عدّة صور فوتوغرافيّة بالحجم الكبير لعمارة إدارة الموانئ وقبّتها منذ أولى مراحل البناء إلى اكتمالها بصورتها الحاليّة، فسلَّمَها إلى دائرته، وتمّ إهداء هذهِ الصور الى متحف الموانئ، الذي أقيم في مطعم الهندسة المدنيّة فيما بعد، وكذا تمّ إهداء قِطع من أدواتِ المساحةِ البحريّةِ الإنجليزيّة المنشأ، التي كانت مودعةً كأمانةٍ في مخازن الهندسة المدنيّة عندما كانت في بناية مخازن التموين، التي تعود الى بدايات إنشاء الموانئ، أُهديت من قبل الموانئ إلى أكاديميّة الخليج العربيّ للدراسات البحريّة، و بعد ما يقرب من ٨٩ عاماً، ومنذ الاحتلال البريطانيّ الأوّل للبصرة في الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤، يعيد التاريخ نفسَه؛ ففي سنة ٢٠٠٣ عند دخول القوّات البريطانيّة البصرةَ، انتشرت على المحاور السابقة نفسِها، وهي: مطار البصرة القديم في فندق شطّ العرب، الذي تمّ إنشاؤه سنة ١٩٣٨ بديلا لمطار الشُّعيبة العسكريّ، و منطقة الـ(R.F) في القاعدة البحريّة، و دائرة الهندسة المدنيّة (منطقة التموين سابقاً)، وبقيت في هذهِ المناطق إلى أن تمّ انسحابُها.

ولا يفوتني أخيراً أن أذكر أقدمَ الموظَّفين الذين تولّوا إدارة مخازن الهندسة المدنيّةِ، وهو: عبد الرزاق حميد محسن الحاوي، منذ كانت هذه المخازن على أرصفة ميناء المعقل في الأربعينات، قبل انتقالها إلى مقرّها الحاليّ في دائرة الهندسة المدنيّة، إذ بقي اسمُها مقترناً باسمه وباسم جبّار حسين.



مكتبةُ مَركَز تُراث البصرة مَعينٌ للثقافة البصريّة

د. أشرف عبد الحَسَن

لا يخفى أنّ العلمَ والكتبَ والمكتبةَ متلازمةٌ، وهي التي قادت البشريّةَ الى التطوّر والنموّ والرَقيّ في الحياة الماديّة والمعنويّة، بل نجد الحضارات كلّها منذ القدم تهتمّ بالجانب العلميّ والعلماء، ومنها الجانب الطبّيّ، الذي يُساعد الانسان على الحصول على صحّة جسده، وأهتمّ كذلك بصحّته وغذائه الروحيّ عن طريق الارتباط بالعقائد السماويّة، ومنذ زمن نبي الله ادريس[١]، الذي ذكرت المصادرُ الإسلاميّةُ أنّه نزلت عليه ثلاثين صحيفةً، وأنّه أوّل من خطّ بالقلم[٢]، ولا شكّ أنَّ الخطَّ أو الكتابة ما كانت في زمانهم بالكيفية التي عُثر عليها فيما بعدُ من قِبل المُنقّبين على الحجر، وعاش النبيُّ إدريسَ عليه السلام في الألفيّة الرابعة قبل الميلاد[٣]، ويعدُّ مؤسّسَ الحضاراتِ في بلاد الرافدين ومصر، ومنها الى مناطق أخرى شاسعة. وكذا يعدّ النبيُّ ادريسَ أوّلَ معلّم للبشريّة، وعبقريّ الهندسة[٤]. وكانت أماكنُ العبادة منذ القدم أماكن لدراسة وتعلّم الأحكام الدينيّة والأمور العباديّة، فضلاً عن أنّها كانت أماكن لتعلّم الأمور الطبيّة، التي هي من صميم حاجة الانسان، فكانت الأدْيرةُ

والكنائسُ أماكنَ للتعليم، وفيها مكتباتٌ ومدارسُ خاصّة، وهذا ما انطبق على المساجد في العصور الإسلاميّة إلى عصرنا الحالي.

ومن ذلك نفهم أمرين: أهمّية العلم في حياة البشريّة، وأهميّة الكتاب والمكتبة لحفظ ذلك العلم من الضياع، وقد ورد عن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: «إحتفظوا بكتبكم؛ فإنكم سوف تحتاجون إليها»[٥]، وهذا ما عَكَفَ عليه العلماءُ منذ ذلك الزمان؛ إذ عكفوا على حفظ وتدوين الأحاديث النبويّة والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ثمّ بدأوا بتدوين مختلف العلوم بعد أن بدأت في التطوّر والازدهار، منها: مدرسةُ البصرة، ومدرسةُ الكوفة، والمدرسةُ المستنصريّة، وبدأ العلماء في حفظ الكتب وتبويبها وتصنيفها؛ ليسهل على القارئ والمتعلّم الوصولُ الى الكتاب والمعلومة، ومن هنا، نفهم الدورَ الكبيرَ في حفظ التراث الإسلاميّ وحفظ تراث أولئك العلماء الذين أفنَوا أعمارهم في الدرس والتدريس، ومن هنا ندركُ الحاجةَ الى المراكز الثقافيّة والبحثيّة في حفظ التراث الاسلاميّ وإظهار ما تمّ التعتيم عليه أو محاولة طَمسه، ومن المراكز المباركة التي أخذت العتبةُ العبّاسيّةُ على عاتقها إنشاءَها والعنايةَ بها، هو: مركز تُراث البصرة، الذي يضمّ بين جنباته عدّة وحداتٍ للبحث والتحقيق والإعلام، ويضم ايضاً مكتبةً أُنشئت منذُ التأسيس، ومرّت بمراحلَ للتطوير، وحَوَت مختلفَ الكُتب والدوريّات.

وهنا، لابدّ أن نلقيَ الضوءَ على أبرز الموضوعات والتصنيف الذي أحتوته المكتبةُ، فكانت المخطوطاتُ والكُتبُ البصريّةُ وكتبُ تاريخ البصرة من ضمن الكتب التي حرصت المكتبةُ على اقتنائها وإغناء مكتبة المركز بها؛ باعتبارها العنوانَ الرئيسَ لإنشاء المركز، وهو البحث عن تراث البصرة وحفظه، ففي المكتبة (٢٧٨) مصوّرَة مخطوطة بصريّة، فضلاً عن المخطوطات غير البصريّة، وأيضاً الموضوعات الأخرى لا غنى لأيّ مكتبة عن اقتنائها؛ لحاجة البحث إليها، فكانت علومُ القرآن وتفسيرُه من مقتنيات المكتبة، فضلاً عن كتب سيرة النبيّ وأهلِ البيتِ عليهم السلام، للبحث عن رجالات البصرة، وإظهار دورهم في حفظ الروايات وتدوينها ونقلها.

ومن ضمن تصنيفات المكتبة الأخرى احتواؤها على كتب الرجال، التي لا غنى عنها عند البحث في التاريخ الاسلاميّ، وكذا احتوت المكتبة على مختلف كتب التراجم والعقائد والفقه والأصول، فضلاً عن الكتب اللغويّة، التي تعدّ إحدى الركائز المهمة للمكتبات عموماً، فاحتوت على دواوين شعريّة، ودراسات أدبيّة، ودراسات شعريّة، وقصص، وروايات.

ومن ضمن تصنيفات المكتبة الأخرى غناها بكتب التراث الاسلاميّ، فاحتوت على كتب التاريخ الاسلاميّ بمختلف مراحله وعصوره، ومنه الدولة العبّاسيّة، والدولة العثمانيّة،







وتاريخ دول الخليج، وايران، والعراق، والتاريخ الجغرافيّ، والرحلات، فضلاً عما احتوته المكتبةُ من موضوعاتٍ وتصنيفاتٍ أخرى، منها: دوائرُ المعارف، والمعاجمُ، والموسوعاتُ، وكتب الأنساب، والفهارس، فضلاً عن المعارف العامّة، والمجلّات، ورسائل الماجستير، وأطاريح الدكتوراه التي تخصّ البصرة.

وهنا، ينبغي أن نبيّن الدورَ الذي قام به المركزُ في مجال المطبوعات والنشريّات خلال فترة وجيزة، ورُغم الصعوباتِ والتحدّياتِ التي واجهته؛ فقد كان في مرحلة تأسيس، إلّا أنّه استطاع أن ينجز (١٥٨) بينَ كتاب وكرّاس خلال ستّ سنين فقط، فضلاً عن مجلّة (الخطوة) الثقافيّة، التي يُصدرها، التي أصدر منها لحدّ الآن تسعةَ عشر عَدداً، ومجلّة تراث البصرة المُحَكَّمَة، التي نالت تحكيم مختلف الجامعات العراقيّة، وصدر منها (عشرة) أعدادٍ الى الآن، وهناك أعدادٌ وبحوثٌ مكتملة يجري العملُ عليها.

في الختام، نسأل الله أن يوفّق ويُسدّد كلّ من كان له جهدٌ في هذا العمل المبارك في حفظ التراث الاسلاميّ والبصريّ.

الهوامش

١- في التوراة هو «أخنوخ» بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم كما في سفر التكوين: ٤، وهو من أجداد نوح. وإنما قيل لَهُ إدريس لأنّه أوّل من درس الوحي المكتوب، ينظر: ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٢٣٣، باب ذكر إدريس عليه السلام. والحكماء اليونانيون يسمّونه هرمس الحكيم، ينظر: ابن الأثير، الكامل، ١/ ٥٩.

٢- ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ٢٠-٢١؛ اليعقوبي، تاريخ، ١/ ١١؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ١٩١؛ الطبري، تاريخ، ١/ ١١٦؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ٢٧٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٢٣٩؛ ابي هلال العسكري، الأوائل، ٤٢٣؛ البلخي، البدء والتاريخ، ٣/ ٤٢٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٣/ ٢٧٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢/ ١٤٢. وبقيّة المؤرّخين كلّهم ذكروا ذلك الخبر. وذكر أنّه أوّل من خطَّ بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمئة سنة وثماني سنين. وقد قال طائفة من الناس أنّه المُشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل الرسول محمدا ﷺ عن الخطّ بالرّمل، فقال: «قد كان نبيٌّ مِن الأنبياءِ يخطُّ، فمَن وافق خطَّه، فذاك»، ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ١١١.

٣- شهدت الألفيّة الرابعة قبل الميلاد تغييرات كبيرة في ثقافة الإنسان. إنّها تمثّل بداية العصر البرونزيّ، وكذا تمثّل بداية عصر الكتابة. في هذه الألفية تم إنشاء مدينة سومر، وبدأت مملكةُ مصر تنمو في المساحة. بدأت الزراعة بالانتشار على نطاق واسع، وفي هذه الفترة شهدت بلادُ الرافدين مع الهيمنة السومريّة الناشئة تطويرَ نوع الكتابة «بروتو - المسمارية»، والنظام الستّيني الرياضيّاتي، وعلم الفلك، وعلم التنجيم، والقانون المدني، والهيدرولوجيا المعقدة، والمراكب الشراعية، وعجلة الخزاف، والعجلة، والمشغولات النحاسيّة العائدة إلى العصر البرونزيّ المبكّر، ففي في عام ٣٥٠٠ ق.م. تمّ اختراع المحراث في الشرق الأدنى، وفي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد تم اختراع دولاب تصنيع الخزف في سومر، ينظر:

Roberts, J: "History of the World.". Penguin, 1994;

Federico Lara Peinado, Universidad Complutense de Madrid: "La Civilización Suemria.". Historia 16, 1999

٤- وهو أوّل بني آدم، أُعطي النبوة بعد آدم وشيث، وكانت ولادته على بعض الروايات في بابل، ثمّ إنّه أخذ بالدعوة للتوحيد في أصقاع مختلفة من الأرض، ومنها: مصر وما جاورها من بلاد الشام، ومنها: فلسطين، وللنبي إدريس دورٌ كبيرٌ في نشوء حضارة بلاد وادي الرافدين والحضارة المصريّة، يُنظر: الراوندي، قصص الأنبياء، ٨٤؛ وليد المحمّد، قصص الأنبياء والحضارات، ١/ ٨٦-٨٨؛ رؤوف سبهاني، تاريخ الأديان القديم، ٣٨.

٥- الكليني، الكافي، ١/ ٥٢.



الكابتن البحريّ، السيّد جاسم المُشَعشَع في ضيافة الخُطوة

حوار : عبد العزيز مسلم

تسرحُ في خيال الماضي وتندهشُ عندما يصوّرون لك التراثَ من خلال كلماتهم التي تحكي جمالَ بلادِ أرضِ السَّواد، رجالٌ نقلوا لنا الماضيَ بكلماتٍ تتكسّر في حناجرهم؛ لِما آلت إليه (بندقيّةُ العرب) كما كان يُطلق عليها لشدّة خيراتها وجمالها.

حوارنا في هذا العَدد مع أحد أبرز ربابِنة الموانئ العراقيّة، الذي خَدمَ البلادَ طيلة سنوات حياته، الى أن أُحيل على التقاعد، ثمَّ عمل في الشركات الأهليّة الى فترة متأخّرة، الى أن رحل الى جوارِالله، إنّه المرحوم السيّد جاسم المُشَعْشع (رحمه الله).

تنويه: كان اللقاء قبل وفاة السيّد (رحمه الله) بأكثر من سنة.

- الخطوة: بدايةً: يسعدنا سماعُ سيرتكم الذاتيّة.

إسمي هو: جاسم محمّد عبد الله آل العُنيس المشعشع، مواليد العشّار- محلّة التميميّة (أمّ الدّجاج سابقاً)، عام ١٩٤٠م، درست الابتدائيّة في مدرسة مَعقِل، والثانويّة في ثانويّة المعقل، ثمَّ التحقتُ بعد ذلك بالأكاديميّة البحريّة، لأتخرّج منها برتبة ضابط ثان، ثمّ تدرجتُ الى رئيس ضبّاط، ثمّ الى كابتن، وقد تخصّصتُ بالملاحة (ربّان سفينة)، أبحرت خلال مسيرة حياتي الى الكثير من دول العالم.

- الخطوة: حبّذا لو عرَّجتَ بنا الى فترة الصّبا، مع وصف موجز عن محلّة التميميّة.

عندما كنّا أطفالاً، كنا نملأ شوارع المحلّة وأزقّتَها، وكنّا نمارس ألعابَنا الشعبيّةَ المفضَّلةَ، التي كانت منتشرة في مدينتنا مثل: (الدُّعبُل- كرة قدم مصنوعة من القماش- الصكلة واللّاك- رَوّه- إعظيم الضّاع)، وكان جزءٌ من بيوت

المحلّة مبنيّاً من الطابوق واللّبن، وسقوفها من الصندل والبواري[1]، وكان الجزءُ الآخر مبنيّاً من الصّرايف[2].

- الخطوة: هلّا حدّثتنا عن بعض أنهار البصرة القريبة منكم.

كان نهرُ الخَندَق قريباً منّا، وهو الفاصلُ بين محلّتنا ومنطقة العشّار، فالناظرُ إلى هذا النهر يرى سحرَ جَماله وهو يتوسّطُ بساتينَ الحنطة والشعير والتّمور، وكانت (جراديق) التمور تمتدّ على كتفَي النّهر، وبمحاذاة النهر أيضاً، وكانت هنالك ماكنةٌ كبيرةٌ لكبس عِرْق السّوس؛ إذ كانت تنتشرُ زراعةُ عِرْقِ السوس في البصرة بصورة كبيرة، فكانت البواخرُ الكبيرة تدخل الى نهر الخندق لتحمل على متنها ما تنتجه هذه الأراضي من الحنطة والتمور والسوس، ويتمُّ تصديره فيما بعد إلى بلدان العالم.

- الخطوة: حدِّثنا عن أبرز العوائل التي كانت تسكن منطقة التميميّة سابقاً.

من أبرز بيوتات محلّة التميميّة بيت السيّد جابر المشعشعيّ (بيت عمّي)، وبيت سيّد لطيف الياسري، وبيت والد السيّد منعم، وبيت الديوان، وبيت البسّام، وبيت الحاج عبّاس حبيب الشاوي، وبيت الهوّاز، وغيرهم من البيوتات البصريّة القديمة، التي لا يحضرني الآن ذكر أسمائهم.

وكانَ وُجهاء المحلّة يداً واحدةً، وكان كلّ فرد منهم يمثّل الأبَ الذي له سلطتُه على المحلّة، فكلٌّ منهم يمتلك الصلاحيّات كافّة في توجيه وتربية أبناء المحلّة عندما يرى صدور الخطأ منهم، ولم أرَ شِجاراً حدث بين عائلتين بسبب خلاف بين الأبناء أو لأيّ سبب كان.

- الخطوة: كونك أحدَ الربابنة البارزين، كيف تصفُ الموانئَ العراقيّةَ سابقاً وما هي عليه اليوم؟

إنّ الحديثَ عن هذا الموضوع ذو شجون، إنّ موانئ البصرة في فترة الخمسينيّات وما قبل ذلك كانت من أفضل الموانئ في العالم؛ إذ كانت تستقبلُ أعداداً كبيرةً من البواخر العملاقة، ولِعِظَم التجارة البحريّة سابقاً، كانت تصل أعدادُ البواخر القادمة الى الموانئ العراقيّة، التي تقفُ في طابور الانتظار الى أربعمائة باخرة، ولكن، في فترة الستينيّات وما بعدها، بدأ التراجعُ شيئاً فشيئاً، حتّى دخول العراق في حرب الثماني سنوات، فشُلّت الحركةُ الملاحيّة في العراق، وتحوّلت شركةُ النقل البحريّ فيما بعد الى شركة النقل المائيّ، ونَقلت شركةُ الناقلات كوادرَها الى شركة النفط.

- هل يمتلك العراقُ أسطولاً بحريّاً؟ وكم عددُ البواخر التي يمتلكها؟

لم يمتلك العراقُ أسطولاً بحريّاً، لا سابقاً، ولا حاليّاً؛ إذ كنّا نعتمدُ على الأساطيل العالميّة، مثل: الأسطول الإنجليزيّ، والألمانيّ، والنرويجيّ، وأساطيل بلدان أخرى، فكان المتدرّب العراقيّ يتمّ تدريبه على بواخر هذه البلدان؛ لكونها متواجدة دائماً في الموانئ العراقيّة.

أمّا في هذه الفترة، فلا نمتلك سوى عدد قليل جداً من البواخر الصغيرة، ولا يصدق أن نقول عنه إنه أسطول بحريّ.

الخطوة: الشكر كلُّه لكم جنابَ السيّد على سعة صدركم، ونرجوا أن نلتقي ثانية لاستكمال الحديث عن الموانئ العراقيّة ومزيد من الذاكرة الشفوية التي تحملونها.

وأنا بدوري أشكركم كثيراً، وأرجو لكم التوفيق في عملكم.

الهوامش

١- البواري: جمع بارية، وهي حصير مصنوع من القصب.

٢- الصّرايف: جمع صريفة، وهي البيوت المبنية من القصب.

من الالعاب القديمة في البصرة

كريم علاوي

شاعَ في البصرة في الثلاثينيّات والأربعينيّات الكثير من الألعاب الشعبيّة، التي كان يتعاطاها الصِّغار والكبار، بشكلٍ يعكس التلاحم والترابط بين الأفراد -آنذاك- فسنستعرض ههنا جملةً من هذه الألعاب التي اندثر الكثير منها.

الدوَّامات والناعور والحنبوص:

يلعب الصّغار هذه اللُّعبة إلى الآن؛ إذْ يقوم النجَّار بصنع الدوَّامة من الخشب، ويُثبِّتُ في بدايتها قطعة من الحديد تُسمَّى (النبلة)، يَلفّ اللَّاعب الخيط الخاصّ لهذه اللَّعبة حول الدوَّامة ابتداء من النبلة ويرميها على الأرض فتأخذ بالدوران، أمَّا إذا كانتْ هناك لعبة بين عِدَّة أشخاص، فبعد القرعة بين اللَّاعبين يضع الأخير دوَّامته على الأرض، وهنا يبدأ اللَّاعبون الواحد تلو الآخر برمي دوَّاماتهم على الدوَّامة التي على الأرض، فالذي يضرب الدوَّامة التي على الأرض يُعدّ فائزاً، وإذا لم يضربها يستطيع أنْ يرفعها مِن على الأرض وهي تدور، فيضع يده قريبة منها، فتدخل من بين أصابعه وتستمرّ بالدّوران على راحة يده، فيأتي بها ويرميها على الدوَّامة التي على الأرض، فإذا مسَّتها يُعدّ ذلك فوزاً له، وإذا لم يتمكّن منها يضع دوّامته على الأرض بدلاً من الأخرى، وتستمرّ اللّعبة.

أمَّا (الناعور)، فهو دوَّامة أكبر بقليل من الدوَّامة المعروفة، وفيه ثُقب في أحد جوانبه من الأعلى، وعندما يدور يخرج منه صوت.

وأمَّا (الحنبوص) فهو يُشبه الدوّامة، ولكن ليستْ فيه نبلة، واللَّاعب يلفّ الخيط حول الحنبوص، وفي نهاية الخيط عصا، والخيط والعصا يُشبهان السّوط، فعندما يلفّ الخيط حول الحنبوص ويرميه اللَّاعب يأخذ الحنبوص بالدّوران، فيقوم صاحبه بضرب الحنبوص بالسّوط، ويستمرّ الدّوران.





رِحْلةٌ في العِراق، أو: خاطراتُ الحَسَنيّ

السيّد عبد الرزّاق الحَسَنيّ

إعداد ياسين اليوسف

هذا الكتاب للسيد عبد الرزاق الحسني[1]، يقع في (١٩٢) صفحة، وقد طُبع الكتابُ طبعة جديدة من قبل دار الرافدين في لبنان سنة (٢٠١٣).

وقد بيَّن فيه مشاهداته في الرحلة التي قام بها في العراق، وقد عني المؤلّفُ كثيراً بتبويب كتابه، و انتقى المعلومات التاريخيّة بعناية، و ذكر معظم الألويةِ والنواحي العراقيّة، إلا أنّنا اخترنا منه موردَ الحاجة من الرحلة، أعني: ما يخصّ مدينة البصرة.

آثارُ لواء البصرة

لم تكن البصرةُ مبنيّةً في محلّها الحاليّ في الأزمنة المتقدّمة، بل كانت بالقرب من قَصَبَة الزبير، ثمّ شرع سكّانُها يشيّدون بعضَ المباني في محلّ البصرة اليوم، حتّى أتيحَ لهم تشييدُ أعظمِ بلدةٍ في العراق، قد تكون في المستقبل أعظمَ من بغداد من حيثُ السياسة، كما هي الآن من حيثُ الاقتصاد. والسائحُ لا يرى اليومَ من تلك البلدة العامرة، التي كانت زاهرة بأنوار العلوم، التي شيّدَها عتبةُ بنُ غَزوان في أوائل الفتوحات الإسلاميّة، سوى الروابي، التي ضمنها التراب والقطع الكثيرة من الآجر الأصفر، وهي تبعد عن الزبير بميلين تقريباً، وقد وُجد فيها كثيرٌ من الآثار.

ويوجد بالقرب من هذه الأطلال جامعٌ ينسب لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلّا أنّ الأثريّين اختلفوا في معرفة حقيقة مرجعه، ولعلّه كان من آثار البرامكة كما يقولُ بعضهم.

وعلى بعد ميل من شرق هذا الجامع مرقدُ طلحة، الذي قُتل مع الزبير في واقعة الجمل المشهورة، وهو يدل على عظمة المدينة واتّساعها في هاتيك الأيّام، وفي الزبير وغيرها من نواحي البصرة عدّةُ مراقد لا نرى لزوماً للبحث عنها؛ طالما اختلف الأثريّون في معرفة حقائق مراجعها.



سِككُ العراق الحديديّة وطرق المواصلات

بغداد - بصرة

(بِطَريق القطار برّاً)

يصلُ العاصمةَ بالبصرة خطٌّ حديديٌّ كبيرٌ، يبلغ طوله الـ(٣٥٦) ميلاً، وإلى القرّاء بيانُ المحطّات المهمّة التي يقف فيها القطار:

بغداد - محموديّة. وطول الخطّ بين البلدتين (٢١) ميلاً.

محموديّة - مسيَّب. وطول الخطّ بين البلدتين (٢٠) ميلاً.

مسيّب - سدّة الهنديّة. وطول الخطّ بين البلدتين ثلاثة أميال.

وقد أُنشئَ خطٌّ جديدٌ بين السدّة وكربلاءَ، وطوله (٢٣) متراً، وفي النيّة تمديدُه إلى النّجف الأشرف، وقد مهّدت الحكومةُ سبل تحقيق ذلك.

سدّة الهنديّة - الحلّة. وطول الخطّ بينهما (٢٤) ميلاً.

حلّة - جَرْبوعيّة. وطول الخطّ بينهما (١٣) ميلاً.

جَربوعيّة - ديوانيّة. وطول الخطّ بينهما (٣١) ميلاً.

ديوانيّة - رُمَيْثة. وطول الخطّ بينهما (٤٠) ميلاً.

رميثة - سماوة. وطول الخطّ بينهما (١٦) ميلاً.

سماوة - محطّة المقيّر. وطول الخطّ بينهما (٥٥) ميلاً.

ومن هنا يتفرع خطٌّ صغيرٌ من الخطّ الحديديّ الأصليّ، ويذهب إلى الناصريّة بعد أن يُقلَّ الركّابَ إليها، وطوله عشرة أميال.

مقيَّر - ماكينة. وطول الخطّ بينهما (١٢٩) ميلاً.

ومن هنا يوجد خطٌّ صغيرٌ يقلُّ من يرغب من المسافرين بالذهاب إلى البصرة رأساً، وهو يصل المدينة بمحطّة الماكينة، وطوله أربعة أميال.

وقد تركنا ذكر الكثير من المحطّات الواقعة بين طريق بغداد - بصرة؛ لعدم أهمّيتها، وعدم وقوف القطار فيها عندما يمرّ فيها.

بغداد - بصرة (بطريق نهر دجلة)

إذا أقلعت الباخرةُ من بغدادَ، فإنّها تمرّ أوّلاً بالبصيرة، ثم العزيزيّة، فالبُغَيْلة، كوت، علي الغربيّ، كُمَيْت، عمارة قلعة





صالح، عُزير، قورنة، عشّار، ومن هنا يركب المسافرُ بالقارب فيذهبُ بنهر العشّار إلى مدينة البصرة توّاً.

ويتفرّع من نهر دجلة في محلٍّ يقابلُ الكوتَ تماماً نهرٌ صغيرٌ يقال له (الغرّاف)، فهذا النهر يوصل الكوتَ بالحيّ. والحيُّ بقلعة سِكَر، والأخيرةُ بالشّطرة، ثمّ ينصبُ هناك في محلّات مختلفة في نهر الفراتِ قربِ الناصريّة، وذلك في موسم الفيضان، وفي هذا بحثٌ دقيقٌ في غير هذا الموضوع.

وتسير البواخرُ البحريّةُ تجاريّةً كانت أم حربيّة في شطّ العرب حتّى ميناء البصرة الشهيرة بـ(مارگيل)، ولو طَهَّرَت الحكومةُ العراقيّةُ نهرَ دجلة تطهيراً تامّاً، لدخلت فيه هذه البواخر بلا شكّ[٢].

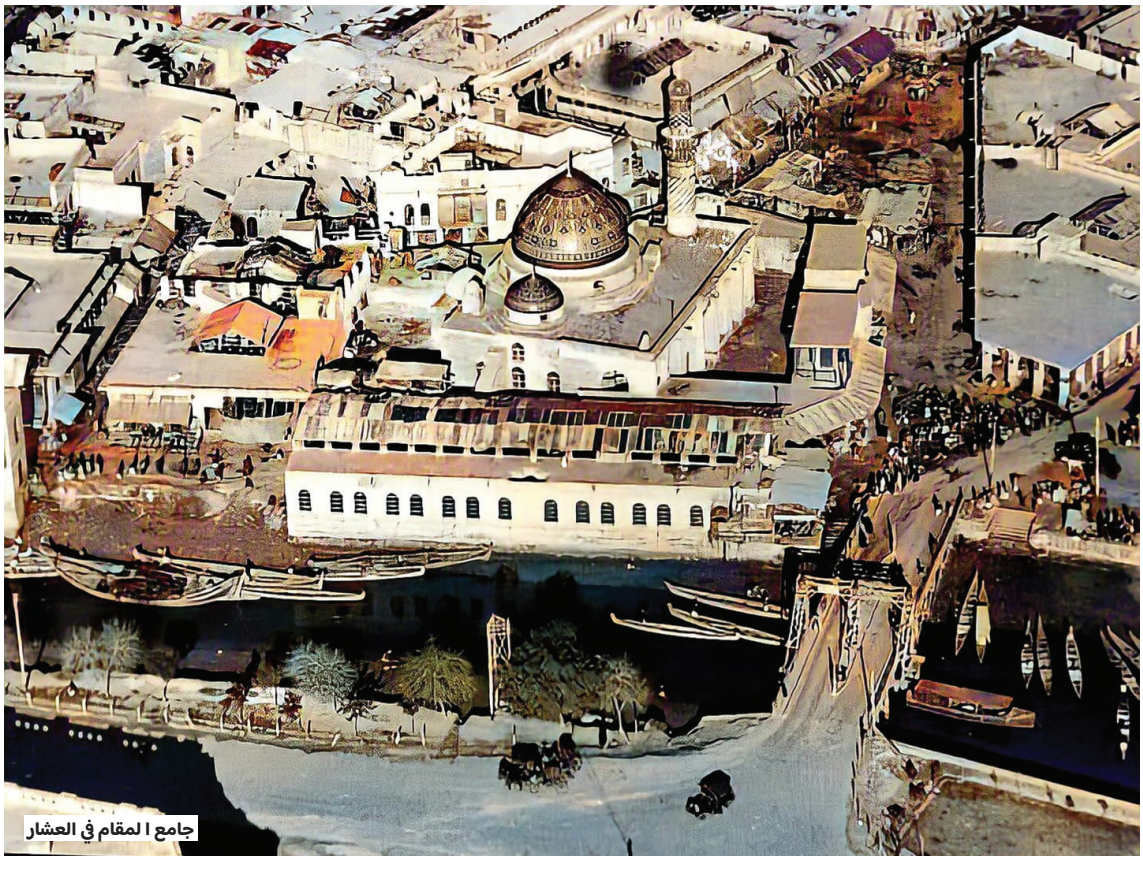
لِواءُ البَصرة

لواءٌ زراعيٌّ مشهورٌ بكثرة النخيل وجودةِ التّمور، يحدُّه من الشّمال لواءُ العمارة، ومن الجنوب خليجُ البصرة (خليجُ فارِس)، ومن الشرق بلادُ إيران، ومن الغرب صحراءُ الشاميّة الشهيرة.

هواؤه رَطبٌ وثقيلٌ، وماؤه نميرٌ وصاف؛ لأنّه يجري من منبَعَين عذبَين، هما: دجلةُ والفراتُ، المكوّنانِ شطَّ العَرَب، الشهير بعذوبة مائِهِ، وتكثر فيه الحُمّى أيّام الصيف. وحرارتُه شديدةٌ للغاية، إلى درجة أنّها تتعدّى الدرجة الـ٥١ سنتغراد في بعض الأحيان، وقد تفيد هذه الحرارةُ البساتينَ فوائدَ تذكر؛ لأنّها من أكبر العوامل الفعّالة في إنماء الثمر؛ لأنّها تستفيد من المدّ والجزر، اللذين هما السببُ الوحيد في إسقائها؛ لأنّ مياه المدّ تتدفّق في شطّ العرب مرّتين في كلّ يوم وليلة، فتسقي الأراضيَ والنخيلَ.

وتروجُ التجارةُ في هذا اللواء الواسع الأرجاء رواجاً لا مزيد عليه؛ لأنّ مركز اللواء هو البصرةُ، الشهيرة بمينائها الكبير، والرصيف المهمّ، أضف إلى ذلك أنّها مفتاحُ تجارة العراق، ولها تاريخٌ حافلٌ بالأبحاث الخطيرة، والوقائع المهمّة، التي لا نريد إعادة ذكرها هنا.

مركزه: مدينة البصرة، التي شُيّدت سنة ٦٣٦م، في خلافة عمر بن الخطّاب، وسُمّيت بهذا الاسم لأنّها بُنيت على (بصرة)؛ أي: أرض غليظة بها حجارة رَخوة فيها بياض. وليست البَصرة الحاليّةُ هي التي شُيّدت في زمن الخليفة عمر بن الخطّاب، أو التي ذكرها ياقوت الحمويُّ في كتابه (معجم البلدان)؛ لأنّ تلك اندَرَسَت باندراس مجد الشرق والعرب، وباتت منهدمةً لا يشاهد فيها اليوم غيرُ الأطلال والأنقاض القائمة بالقرب من ناحية (الزبير)، وأمّا بصرةُ اليوم، فمدينةٌ واسعةٌ تقع على



جامع المقام في العشار

شاطيء شطّ العرب الأيمن، وترتفع عن سطح الماء بنحو ثمانية أقدام، وهي تبعد عن بغداد بـ(٣٥٦) ميلاً بالقطار الحديديّ، وأهلها مشهورون بالكرم والجود والإباء، ولقد انجلت هذه الصفات فيهم بأجلى مظاهرها في الأيّام الأخيرة، خصوصاً عندما قام بعضُ سُراتهم يشيّدون المدارس والمعاهد العلميّة، وينعمون على الصحافة والمشاريع الخيريّة إنعاماً لا يقف حدُّه عند المادّيّات فقط، بل تجاوز إلى المعنويّات أيضاً.



وفي البصرة جادّاتٌ واسعة، وأسواقٌ تجاريّة مهمّة، وخاناتٌ عديدةٌ، مع مخازن ومحلّات ومدارس وكتاتيب وصيدليات ومطابع وفنادق ومطابخ و... إلخ، ولها ميناء مهمٌّ يقال له (ماگيل)، وهو يبعد عن المدينة بستّة أميال تقريباً، وترسو عنده السفن التجاريّةُ والبواخر البحريّة والحربيّة الكبرى. ولهذا الميناء رصيفٌ صناعيٌّ فخمٌ، تقدّر أخشابُه وأدواتُه بنحو ثلاثة ملايين روبيّة أو أكثر من ذلك. وعلى بعد خمسة كيلومترات عن الزبير مركزٌ لمحطّة القِوى الهوائيّة العراقيّة يقال لها (الشعيبة)، وقد جرت فيها حروبٌ هائلةٌ عندما احتلّ الإنجليز البصرة سنة ١٩١٤-١٩١٥م. وتقدَّر نفوسُ المدينة مع عشائرها بنحو (٦٣٠٠٠) نسمةٍ، وعلى بعد بضعة أميال عنها مدينةُ العشّار المهمّة، وهي القائمة على عَدْوَة شطّ العرب اليمنى، وتراجع البصرة في أشغالها، وتُعتبر كجزء منها.

ولمركز اللواء فقط ناحيتان، وهما: الهارثة والزبير، أمّا الهارثةُ، فبُليدةٌ واقعةٌ على الضفّة اليمنى من شطّ العرب، وفيها بعض البساتين والمزارع وأكواخ للفلاحين، الذين

يغرسون الأشجار، ويمتهنون نَسجَ الأعبئة، وعددُهم ثلاثةُ آلاف نسمةٍ.

وأمّا الزبيرُ، فقصبةٌ كبيرةٌ مسوّرةٌ، فيها ما يقرب الـ(٢٥٠٠٠) نسمةٍ، وهي مبنيّةٌ في صحراء تقربُ أطلالَ البصرة القديمة، ويشرب أهلُها الماءَ من الأمطار في الشتاء، وأمّا في الصيفِ، فيحفرون الآبارَ، التي تتجمّع فيها مياه الأمطار، ويأخذون منها حاجَتهم. ومع أنَّ البلدةَ مفتقرةٌ إلى الماء، نرى أنَّ البطّيخَ ينمو فيها نماءً حسناً على الأمطار، فيكون من أجود بطّيخ العراق. وتروجُ التجارةُ في هذه الناحية رواجاً لا يستهان به؛ لما هنالك من الصِّلات بين سكّانها وبين النجديّين والكويتيّين وغيرِهم من سكّان مدن، والإمارات العربيّة في الخليج الفارسيّ.

والبلدةُ تقع إلى الجنوب الغربيّ من البصرة الحاليّة، وتبعد عنها بنحو ١٨ ميلاً، وفيها مرقدُ الزبير، وجامعُ الإمام عليّ عليه السلام، ومرقدا: حسنِ البصريّ وابنِ سيرين، المشهور بمفسّر الأحلام، وغيرهما من العلماء والشعراء وحملة الأقلام.

أقضيةُ اللواء

للواء البصرة قضاءان، هما: أبو الخصيب والقرنة فقط.

قضاء أبو الخصيب

أبو الخصيب بلدةٌ مشيّدةٌ على النهر المسمّى باسمها، وهي تقع في جنوب البصرة، وتبعد عنها بـ١٦ ميلاً، وفيها نحو (٧٨٠٠) نسمةٍ، وهي مركزُ القضاء. وتشتهرُ بكثرة النخيل، إلى درجة أنّها تُعدُّ غابةً لها.

وللقضاء ناحيتان، الأولى: ناحية الفاو، والثانية: شطّ العرب. أمّا ناحيةُ الفاو، فتمتدُّ على حافّة شطّ العرب اليمنى، على بعد ثمانيةِ أميالٍ، مقابلة لعبّادان الشهيرة، وفيها نحو (١٢٠٠٠) نسمةٍ، وتتبعُها قريتان يقال لهما: الفاوُ والدورة. فقرية الفاو عبارة عن محطّة للأسلاك البرقيّة البحريّة، والممتدّة بين العراق والهند، وقد أسّسَت فيها الحكومةُ مدرسةً أميريّةً، وفيها بعضُ البيوتات مع نفر من السكّان.

وقريةُ الدورة عبارة عن مقاطعة تسكنها عائلة الشيخ إبراهيم اليوسُف، وفيها مدرسة أميريّةٌ وبعضُ البيوتات أيضاً.

وأمّا ناحيةُ شطّ العرب، فمركزها (التَنّومة)، وهي تقع على الضفّة اليسرى من (شطّ العرب)، في محلٍّ يقابلُ جمارك العشّار - بصرة تماماً، وفيها دائرةُ جوازات السفر للّذين يذهبون ويأتون إلى ومِن خوزِسْتان التابعة إلى إيران عن طريق البرّ، حيثُ هناك ركبتُ في سيّارتي على جادّة مستقيمة، أوصلتني إلى قلب المحمَّرة في مدّة ساعة ونصف، وفي الناحية عددٌ قليلٌ من السكّان، مع بعض البيوت المشيّدة يسكنها الفلّاحون، الذين يقومون بخدمة بساتينها الكثيرة.

قَضاء القورنَة

مركزُه قصبةُ القورنة، وهي قصبةٌ لطيفةٌ واقعةٌ على ملتقى نهرَي: دجلة والفرات، وفيها بعضُ البيوت الكبيرة، والمباني الضّخمة، كدار القائمقام، ومستشفى مود، وتحيطُ ببعض أطرافها أهوارٌ (مفردُها هور)، ومستنقعاتٌ تؤثّر في بعض الأحيان على صحّة البلد، فتولّد أمراضاً فتّاكة يعالجُها الطبيب المعيَّن للمستشفى المذكور، وتبلغ نفوسُها نحو (٢٠٠٠) نسمة.

وللقضاء أربعُ نواح، وهي: النشوة، (وشرش وبني منصور)، والمدينة، والعزير.

أمّا النشوةُ، فتقع على الضفّة اليسرى من شطّ العرب،



ملتقى دجلة والفرات في البصرة في القرنة


مرقد العزير عليه السلام

وفيها نحو (٧٠٠٠) نسمةٍ، وتحيط بها البساتينُ من جميع جهاتها، وهي الحدُّ الفاصلُ بين العراق وإيرانَ من جهة الحُوَيْزَة، حيث يليها برٌّ واسعٌ.

وأما (شرش وبني منصور)، فتقعُ على ضفّة شطّ العرب اليمنى، وفيها (٢٠،٠٠٠) نسمةٍ، ويحيط بها هور السّناف الشهير.

وأمّا (المدينة)، فجزيرةٌ محاطةٌ بالمستنقعات والبساتين وبعض المزارع، وتقدّر نفوسُها بنحو (٢٣٠٠٠) نسمةٍ.

وأما العُزَيرُ، فهي قريةٌ صغيرةٌ راكبةٌ ضفّة دجلة اليمنى، موقعُها مهدَّد من حيث رداءة الطقس وانتشار الأمراض؛ لأنّها محاطة بالمستنقعات. وفيها نحو (١٨٠٠٠) نسمةٍ، وهناك مرقدُ العُزير عليه السلام.

وسكّان هذه النواحي الأربعةِ كلُّهم من العشائر، منهم العددُ القليلُ من أهل المدن والنواحي، والبلدة منحطَّة نوعاً ما من حيث العُمران.

الهوامش

١- عبد الرزاق الحسنيّ (١٩٠٣- ١٩٩٧)، مؤرّخٌ عراقيٌّ رائد، قدّم للمدرسة التاريخيّة العراقيّة الكثيرَ من النتاج التاريخيّ، الذي لا يمكن تجاهله من قبل المؤرّخين المحترفين بأيّ حال من الأحوال، وُلد في بغداد من أسرة أدبيّة، ولقّب بشيخ المؤرّخين، له عدّة مؤلّفات منها: ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال كابتن، وتاريخ العراق السياسيّ الحديث في ثلاثة أجزاء، وتاريخ الأحزاب العراقيّة، والعراق في ظلّ المعاهدات، وأحداثٌ عاصرتُها، والعراق قديماً وحديثاً، والعراق دَورَي الاحتلال والانتداب، والثورة العراقيّة الكبرى، وتاريخ الوزارات العراقيّة في العهد الملكيّ في عشرة أجزاء، وتاريخ الصحافة العراقيّة. والأسرار الخفيّة في حركة سنة ١٩٤١ التحرّريّة.

٢- كانت الحكومة الاحتلالية قد مدت سكة حديدية بين البصرة والعمارة مارة بالقورنة وقلعة صالح ثم رفعتها لعدم حاجتها بها فلو اعادت الحكومة العراقية تنصيب هذا الخط لانتفعت من ذلك هي والملة منافع جمة، وهكذا لو اعادت تمديد السكة لتي نصبها الانكليز بين بغداد والكوت ثم رفعوها كما رفعوا سكة بغداد والفلوجة وسكة الحلة....كفل لان البلاد اليوم في امس الحاجة الى الاصلاح المستمر.وقد كتبت ملاحظاتي في هذا الموضوع ونشرت بعضها « المفيد» فلم تصادف أذناً صاغية مع الاسف. منه



الرحّالةُ الأجانبُ في القرنَين: التاسعَ عَشَرَ والعشرينَ والبَلَم العَشّاريّ

د. محمود العيداني

البَلَمُ العشّاريّ، مصطلح خاصٌّ بالبصرة وشطِّها، شطِّ العَرَب، ونهرِها: نهرِ العشّار، تنظرُ إليه فينسابُ عطرُ التراث الى روحِك، وتمتلئُ أساريرُك بالراحة

والبهجة والهدوء وأنت تشاهدُ هذه التحفةَ الفنيّةَ الجميلةَ تنساب بين أمواج الشطّ والنهر الهادئة المطمئنّة.

كنتُ مشغولا بالتحقيق في تاريخ البصرة فترة من الفترات، ومن المعلوم أنّ مصدراً مهمّاً من المصادر الخاصّة بتاريخ البصرة يمثّله الرحّالةُ الأجانبُ الذين مرّوا بالبصرة، وهم كُثُر، فرأيت أنّ بعضَهم ذكرَ البلمَ العشّاريَّ، بل بعضُهم وصفَه وصفاً دقيقاً، فارتأيتُ أن أنقل للقرّاء الأعزّاء بعض ما صادفتُه من كلمات هؤلاء، مراعيا في ذلك التسلسلَ الزمنيَّ لرحلاتِهم أو زياراتِهم للبصرة، فكانت هذه المقالة المتواضعة.

١- الرحّالة البريطانيُّ باكنگهام: تاريخ الرحلة (١٨١٦م)

الكلام هنا عمّا يسمى عندنا في البصرة بالبَلَم العَشّاري؛ نسبةً الى شطِّ العشّار وسطَها، وهو إحدى وسائل النقل في شطّ العرب؛ إذ لا يقتصر النقل في الشطّ على البَلَم، وإنّما هناك غيرُه من وسائل النقل في القرنين: الثامن عشر والتاسع

عشر وحتى العشرين، ولا بأس أوّلا بأن نستعرض كلامَ الرحّالة البريطانيّ باكنگهام، الذي زار العراق سنة (١٨١٦م)؛ وهو يتكلّم عن وسائل النقل التي شاهدها في البصرة بصورة عامّة؛ إذ وصف تلك الوسائل وصفاً دقيقاً وجميلاً، فقال:

«هناك قواربُ مدوّرةٌ مصنوعةٌ من العيدان التي تُصنع منها السِّلال، ومُطلاة بالقار، يتراوح قطرُ الواحد منها ما بين ستّة وثمانية أقدام، وهي تطفو في المياه الضّحلة، وتستطيعُ حملَ ستّةٍ أو ثمانيةِ أشخاص، وتستعملُ هذه القواربُ في القناة وفي النهر معاً، ولمّا كانت حركتُها مستديرة أصلا، فإنَّها تسير بيُسر.

وتسمّى هذه القوارب هنا باسم (القفَّة)، ويبدو أنّها من نفس القوارب المدوّرة التي تُصنع من القَصب وعلى شكل مظلّة، ممّا لاحظ هيروددتس استعماله في نهر بابل قبل ألفي سنة خلت.

وهناك أنواعٌ أخرى من الزوارق تستخدم بصفةٍ رئيسةٍ لنقل الأثقال، وتُدعى (دونگ)، ونظراً لغرابةِ شكلها، فلا يمكن وصفُها، فالواحدُ منها يرتفع عند كلٍّ من نهايتَيه بشكلٍ عموديٍّ خالص، حتّى لَيَغدو مماثلاً لشكل الهِلال، لكنَّه يغطُس في الماء حين يكون أكثرَ عمقا، حتّى لَيَبدو وسطه وكأنَّ ألواحَه قد بُرمَت وزُحزحَت عن مكانها الأصليّ.

ويكون القعرُ مُفَرطَحا تماماً، ويرتفعُ القَيْدومُ إلى ارتفاعٍ ملموسٍ عن الماء، ثمّ يهبطُ إلى الداخل فيما يشبهُ رأسَي الهِلال، ويُطلى هذا الزورقُ بنوع سَميكٍ من القار.

وبقيّةُ السّفن التي تستخدم في القناة هي من الشكل الاعتياديّ، المستعمل في الخِلجان العربيّة والفارسيّة، ومع ذلك، فإنَّ أشكالَها الخَشنة تبدو فوقَ سطح الماء ذاتَ قعور جميلة، وهي قويّة الصنع»[1].

ثمّ وقفَ باكنگهام على وصف البَلم في البصرة وقفةً مطوّلةً بعض الشيء؛ إذ لم يقتصر على وصف البلم نفسه، بل تعدّى ذلك الى وصف حركته، مشيرا الى جهة الشبه بينه وبين ما ذكره المؤرّخ (اريان) عن رحلته الى البصرة، المسماة رحلة (نير خوس)، فقال:

«وتُستخدم لنقل الركّاب في هذه القناة قواربُ صغيرةٌ يسمّونها (بَلَم)، توضع في أقعارها حُصُرٌ نظيفةٌ للجلوس



عليها، وتقوم في أعلاها مظلّةٌ تظلّلها، وهي تندفع بسرعة، يحرّكها ملّاحان يقفان عند الرأس والصدر، ويُزوَّد كلُّ قارب بمجذافين يجعلانه يجري بسرعة وعلى درجة واحدة مع القارب الذي يَستخدم أربعةَ مجاذيف.

وهذه السفنُ من أصغرُ ما يمكنُ مشاهدتُه منها، ونظرا لأنَّها لا تغطسُ في الماء إلا بضعَ بوصاتٍ، فإنَّ من اليسير استخدامَها في أيِّ وقت، إلّا إذا كانت المياهُ واطئة ميتة.

وهناك أنواعٌ مختلفةُ الأحجام من هذه القوارب تصلُ إلى السّفن، التي تبلغُ حمولةُ الواحدةِ منها خمسينَ طنّاً.. وغالباً ما تكون القواربُ طويلةً ضيّقةً وذاتَ أشكالٍ خفيفةٍ وأنيقةٍ، كما تدلُّ على الصفة الخاصّة التي تُصنع بها قياديمُها.

والطريقةُ المعتادةُ في تسيير هذه القواربِ في النهر هي استخدامُ أعمدةٍ طويلة من القصب[٢]، لكن، يحدثُ أحيانا أن يتمَّ تسييرُها باستعمال مجاذيفَ يحوّلها الملّاحون من جانب إلى آخر، تشبهُ في مظهرها ما سبق أن ذكره المؤرخ (اريان) عن رحلة نير خوس»[٣].

٢- عالي بك التركي والبلم العشاري: : تاريخ الرحلة (١٨٨٥م)

وما وجده باكنگهام وجده عالي بك، الرحّالة التركيُّ المشهورُ بعده بسبعينَ سنة تقريبا، عندما قام برحلته سنة (١٨٨٥م)، التي مرَّ خلالَها بالبصرة، منوها بأنّها لا تقفُ الاستفادةُ منها على النقل فقط، وإنّما تستعملُ للنزهة والمرح من قبل أهالي البصرة أصحابِ الذوق على حدّ تعبيره، فقال:

«ويطلقونَ على هذه القواربِ هنا (بلَم)، وهي أكثر انتظاماً بالنسبة إلى الموجودة في نهر الفرات؛ فأرضيَّتها مفروشة، ومن فوقها مظلّة، ولأنَّ أهالي البصرة أصحابُ ذوق، يركبُ أهالي البصرة رجالا ونساء هذه القوارب في الطقس اللطيف، ويتجوّلون بها في النّهر من الليل وحتّى الصباح وهم يغنّون ويمرَحون»[٤].





٣- ماكس فون أوبنهايم والبلم العشاري: تاريخ الرحلة (١٨٩٣م)

وأمّا الرحّالة الألمانيُّ ماكس فون أوبنهايم، الذي مرّ بالبصرة بعد عالي بك بثماني سنين تقريباً، أي: عام (١٨٩٣م)، فقد بدأ بوصف شطّ العَرَب أوّلا، ولم يقتصر على ذلك، بل تعرّض الى التنقّل بصورة عامّة في هذا الشطّ، ثم إلى جمال الطبيعة التي تتألّف من الشطّ وما يحفُّ به من غابات النخيل في ذلك الوقت، ما ذكّره بمدينة البندقيّة الإيطاليّة على الفور على حدّ تعبيره، فقال:



«ويكفي عرض شطّ العرب هنا لملاحة السفن البحريّة الكبيرة، وللمناورة اللازمة للحركة، كما أنَّ شروطَ رُسوِّ السفن جيّدة؛ لأنّ سرعة الماء منخفضة، والشطُّ عميقٌ بما فيه الكفاية من مصبّه حتّى البصرة لإبحار أكبر البواخر.

يتولّى النقلَ من البواخر الكبيرة إلى اليابسة زوارقُ من مختلف الأنواع، يلفت الانتباهَ من بينها بشكلٍ خاصٍّ الزوارقُ المسمّاة (بَلَم)، وهي زوارقُ طويلةٌ وضيّقةٌ، لكنّها متينة جدّا، ومصنوعةٌ من الخَشَب الهنديّ.

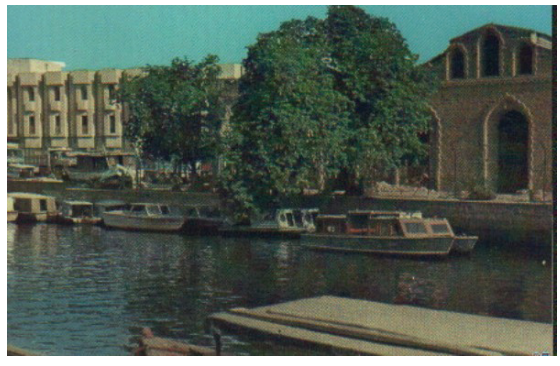
لا تقعُ البصرة على النهر مباشرة، وإنّما على بعد مسافة نصف ساعة تقريبا على قناةٍ تخرج من النهر عند مبنى الجَمارك، ثمّ تتفرّعُ داخلَ المدينة إلى عدَّة فروع.

كانت الرحلةُ التي قمتُ بها في القَناة لغرض زيارة المدينة جذّابةً إلى أبعد الحدود؛ فقد كانت القواربُ البخاريّةُ التي يملكها عادة كلُّ تاجر كبير تتحرّك جيئة وذهابا، ومن بينها قاربٌ فخمٌ بشكل خاصٍّ يعودُ للقنصل الفارسيِّ.

وكانَ هناك كثيرٌ من زَوارقِ الجَندول المُستعملة لرحلات التنزُّه، والتي يشعر فيها العربُ بمتعة فائقة.

كانت هذه القوارب تبثُّ حياةً نشيطةً في الطريق المائيّة التي تحفّها أدغالٌ كثيفةٌ من أَشجار النخيل، التي تنحني سعوفُها فوقَ الماء بصورة شاعريّة حالمة. وقد ذكّرتني الجندولاتُ والقناةُ التي تعبرُ المدينة بكاملها بمدينة البندقيّة على الفور»[٥].





٤- لوريمر والبلم العشاري (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين)

وكذا ذُكر البلم في (دليل الخليج)، الذي أعدّه الجغرافيُّ البريطانيُّ المتخصّص لوريمر، الذي ألّفه أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولم يقتصر هو بدوره على الوصف، بل ذكر حتّى قيمته التقريبيّة ذلك الوقت، قائلا:

«أمّا البلمُ، فهو القاربُ الشهيرُ في شطِّ العرب، ومكانُه بين القُرنة والفاو، كما أنَّه يوجد في نهر الفرات حتّى مدينة الناصريّة شمالا، والبلمُ العاديُّ عبارةٌ عن قارب صغير، يصلُ طوله إلى (٢٠) قدما، وعرضه ثلاثة أقدام في أوسع أجزائه. ولهذا، فهو طويل وضيقٌ ومدببٌ من ناحيته، وهو مقوّى بكُتل خَشَبيّة موضوعةٍ بالعرض، ولا يحتاج إلى ماء كثير، ويمكن أن يسيرَ بالمجاذيف أو الشراع، وفي الحالة الأخيرة يُزوَّد بدفة، ويتألَّف طاقمُه من ثلاثة إلى أربعة رجال.

وتتراوحُ تكاليفُ صنعه بين عشرة جنيهات وخمسةَ عشرَ جنيهاً استرلينيّاً.

وقواربُ البلم الصغيرةُ لنقل الركّاب في البصرة مدهونةٌ بألوان زاهية تزيّنها الكتابةُ على جانبَيها»[٦].

٥- سي أم كرستجي والبلم العشاري: تاريخ الرحلة ١٩١٧م

وأما الرحّالة الهنديُّ (سي أم كرستجي)، فقد وصف البلمَ في كتابه (أرض النخيل: رحلةٌ من بومباي إلى البصرة والعودة اليها ١٩١٦ـ ١٩١٧م)، بأنّه أجمل مركبٍ مائيٍّ صغيرٍ قد يراه المرءُ في أيّ مكان، بل هو: أجمل من قارب الجَندول الداكن اللون إنْ لم يكن أسهل منه في التسيير والتجديف، فقال:



«دعنا نتحدّث الآن عن البلم، فهو يستحقُّ وصفاً موجزاً، وهو قاربُ الركّاب في البصرة وشطّ العرب من المحمّرة إلى القرنة. وقد وصفه السير بيرسي سايكس خطأ..بأنّه طوفٌ... او يشبه القفّة..ومن المؤكّد أنّ البَلَمَ لَيسَ بطوفٍ، وليس شيئا شبيهاً بالطوف، بل على العكس من ذلك إنّه أجمل مركب مائيّ صغير قد يراه المرء في أيّ مكان، سواءٌ عند التنقّل داخل المرفأ، أو عند الإبحار في النهر. ويبدو لي أنَّ لكلمة (بَلَم) صدىً في كلمة (فلم)، وهو اسمُ قارب صغير يُستخدم في المياه الداخليّة، عبارةٌ عن قارب مسطّح القَعر، يصل طولُه إلى عشرين قدما أو أكثر، وقطرُه من قَدَمين إلى ثلاثةِ أقدام، له طرفانِ مستدقّان ينحنيان ويتقوّسان إلى الداخل أشبه بقرون الكَبش، وهما ملوَّنان أو مطليّان، وقد صُبغ بدنُه الرماديّ وقعرُه الأحمرُ القاني على نحو جميل بألوان خفيفة متناسقة، منها: الأزرقُ، والأخضرُ الفاتحُ، والأبيضُ، والأخضرُ الداكنُ، وله مقاعدُ وثيرةٌ مريحةٌ في الوسط، صالحةٌ لجلوس شخصين أو ثلاثة عليها، تعلوها مظلَّة أو غطاءٌ واق من أشعّة الشمس.

وعند الإبحار عكسَ التيّار نحوَ أعلى الشطّ قربَ الشاطئ، يقوم اثنانِ من البحّارة يقفان في أوّل وآخر البلم بتسيير أو دفع القارب بواسطة العصا الطويلة، وعند الإبحار في اتّجاه

مجرى النهر نزولاً من الشطّ، فإنّهما يقومان بتجديفه أو توجيهه أو تركه ينسابُ لوحده مع التيّار.

وهو أجمل من قارب الجندول الداكن اللون إن لم يكن أسهل منه في التسيير والتجديف، وهو أكثرُ شَبَها بقارب القايق الاسطنبوليّ.

ويوجدُ أكثر من ألفين من قوارب الأبلام هذه تجوبُ مياهَ العشّار، وعلى امتداد مجرى الشطّ، وفي أعلى وأدنى الجداول؛ وذلك لأغراض النقل بالأجرة.

ولدى كلِّ رجل ميسورِ الحالِ في البصرة والمحمَّرة قاربٌ أو قاربان من الأبلام؛ وذلك لأغراض المُتعة والترفيه.

ومن المُمتعِ أن تكون راكبا على متن قارب بَلَم في الشطّ صباحا أو مساء خلال فصل الشتاء الجميل بالبصرة؛ فحركته هادئةٌ وشيِّقةٌ ووديعةٌ. أمّا الأبلامُ الأكبرُ حَجماً إلى حدٍّ ما، والتي بإمكانها أن تحملَ من عشرة إلى عشرين راكبا، فتستعمل عموماً لأغراض نقل الركّاب بين الموانئ الرئيسيّة في الشطّ»[٧].

البَلَم معلمٌ جميلٌ من أجمل معالم تراث مدينتنا الجميلة المعطاء، البَصرة، ويجب على المعنيّين بهذا التراث ضمان دوام وجود هذا المعلم الجميل في هذه المدينة الرائعة، وإلّا، ناله ما نالَ الكثيرَ من المعالم الجميلة الأخرى من الإهمال ثمّ الاندثار للأسف الشديد.

الهوامش

١- رحلتي إلى العراق، ج٢، ص٢٥٦ـ ٢٥٧.

٢- التي تسمى بالعامّيّة (المَرْدِي)

٣- رحلتي في العراق، ج٢، ص٢٥٥ـ ٢٥٦.

٤- رحلة عالي بك إلى العراق العثماني والهند، ص١١١.

٥- من البحر المتوسط إلى الخليج العربي، ج٢، ص٣٤١ـ ٣٤٢.

٦- دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٣، ص١٠٣٢.

٧ - أرض النخيل: رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة اليها ١٩١٦ـ ١٩١٧م، ص١٦٥ـ ١٦٦.





كاظم مكّي حَسن (١٩١٢-١٩٨٣م) وأسلوبُه الأدبيّ

إعداد: محمّد صالح عبد الرضا

وُلد الشّاعر (كاظم مكّي حسن) في البصرة عام (١٩١٢م)، وأكملَ دراستَه الابتدائيّةَ والمتوسّطةَ والثّانويّةَ فيها، وقدْ بدأ محاولاتِه الشّعريّةَ عام (١٩٢٧م) وهو طالب في الابتدائيّة، متأثّراً بأستاذه (محمّد جواد جَلال)، وبمطالعاته الخاصّة في الشّعر العربيّ القديم، وقدْ أنهى تعليمَه، فكان متميّزاً فيه، كان يتردَّد في أواسط السبعينيّات على إدارة مطبعة حدّاد في العشّار لرابطة أدبيّة تربطه والقاصّ الرّاحل (يوسف يعقوب حدّاد) صاحب المطبعة، وقدْ أجريتُ معه لقاءً قصيراً أحتفظ به بين أوراقي، كانت فيه هذه الأسئلة والإجابات.

- ماذا عن المنتديات الأدبيّةِ في البصرة في فترة الثلاثينيّات والأربعينيّات وما بعدها؟

-كان في البصرة في أوّل نشأتي الأدبيّة (المكتبة النقشبنديّة)، وهي منتدى لكثير من أدباء البصرة وصحفيّيها، وكان يؤمُّها الشّاعر المرحوم (محمّد هادي الدَّفتر)، والشّاعر البغداديّ (كمال نصرت)، والمرحوم (عبد الرّضا الجبيليّ)، والمرحوم (سلمان الصّفوانيّ)، فكنتُ أجتمع إليهم، وكانت هذه المكتبة تُقيم بين الفينة والأُخرى بعضَ الحَفَلات على سبيل التشجيع وتقوية الحركة الأدبيّة، ثمّ أُنشئت مكتبةُ سبيل الرّشاد سنة(١٩٣٥م)، وكنتُ أؤمُّها، وأشارك في حفلاتها. ومن الصُّحف الأدبيّة التي كانت تصدر في سنة(١٩٢٧م) مجلّة (النشء الجديد)، للمرحوم الشّاعر (عبد الرّزّاق الناصريّ)، ومجلّة (الثقافة)، التي كان يصدرها المحامي المرحوم (عبد الجليل برتو)، ومنها: جريدتا (الشمران، والبصرة) الأدبيّتان للصّحفيّ المرحوم (عبد الرّضا الجبيليّ)، وكانت تُعنَيان بالشؤون الأدبيّة، ونشرتُ فيها لأوّل مرّة طائفة من قصائدي.

- ماذا أخرجتُم من مطبوعات؟ هل بقيَ من مؤلَّفاتكم

شيءٌ محفوظ تفكّرون في نشره؟

- أصدرتُ سنة (١٩٣٩م) قصّة (صفوان الأديب)، ثمّ في سنة (١٩٥٢م) كتاب من (حديث العقل والقلب)، وتلاه كتاب (دموع التماسيح)، وهما مجموعتان لكثير من مقالاتي الأدبيّة، وفي النّيّة إصدار كتاب هو مجموعة مقالات أيضاً، ففي نيّتي طبع ديواني(شمس الأصيل)، الذي يضمُّ مختارات من شعري من أوّل بداياتي وإلى الوقت الحاضر.

-ما رأيُكم بالحركة الأدبيّة المعاصرة، وأدب الشَّباب خاصّة؟

- الحركة الأدبيّة ذات نماء، وأنا متفائل بأدب الشَّباب، وأفضِّل انصرافهم للاهتمام باللُّغة وقواعد علم العَروض، فالشِّعر لا يمكن أن يسمَّى شعراً إلا إذا كان معنىً ولغةً سليمة وقالباً فنّيّاً.

وشاءت المصادفات أنْ تجمعني بولده الأخ (مزهر كاظم مكّي حسن)، وقدْ أطلعني على مخطوطة ديوان والده، وبعض أوراقه المخطوطة التي تضمَّنت مراسلات أدبيّة، وكان بينها كتبُ شُكر متعدِّدة صادرة من مديريّة المعارف في البصرة، ولاحقاً من المديريّة العامّة للتّربية، تُثني على جهوده في التعليم، وما يحقّقه من نِسبٍ متقدِّمةٍ في نجاح طلبته في الامتحانات الوزاريّة، فقدْ تنقّل في التعليم والتدريس بين عدّة مدارس، منها: الأصمعيّ، والمِربد، وعاصم بن دلف، والصّقر، والسّيبة، وثانويّة البصرة، والرَّجاء العالي، ومتوسِّطة التّحرير، وكذا عمل مأموراً للمكتبة العامّة في البصرة خلال العام (١٩٤٩م)، وفي قصائده المخطوطة قصيدةٌ عنوانُها (بطلُ العقيدة والإباء)، أُلقيتْ في الحفل التأبينيّ الذي أقامتْه الهيئة الأدبيّة في البصرة بمناسبة يوم عاشوراء عام (١٩٤٩م) في قاعة ثانويّة البصرة، وفيها يقول:

علمُ الهُدى ومعلِّمُ الأحرارِ
كمْ في جهادِكَ مِن عُلاً وفخارِ
تمضي الدُّهور وتنقضي أحدُاثها
وحديثُ ذكرِك دائمُ التّكرارِ
أبقيتَ ما بقي الزّمان مآثراً
للمكرماتِ روائع الآثارِ
هي خير ما يُبقي الحياةَ عزيزةً
وأجلُّ ما فيها من الأسرارِ

رحم اللهُ الشّاعرَ البصريَّ (كاظم مكّي حسن)، فقدْ كان أديباً ناشطاً في الحياة الأدبيّة في البصرة منذ الثلاثينيّات حتّى رحيله في (١٩٨٣/١/١٢م).

وبين أوراقي قصيدة للشّاعر الرّاحل بعنوان (نظرات في أوضاعنا)، كتبها في أربعينيّات القرن الماضي، وهي تزيد على الخمسين بيتاً، أنشر هنا بعضَ أبياتها:

(نظراتٌ في أوضاعنا)

كمْ ذا نهنِّي مآثرَ الأجدادِ
ونكونُ مبعثَ ذلّةِ الأحفادِ
ونَحيدُ عن سُبُلِ الجهادِ ونبتغي
عيشَ الكرامِ ورفعةَ الأسيادِ
ونذلّ في جمعِ الحطامِ وغيرنا
في بذلةٍ قدْ نالَ كلّ مرادِ
فغدا الشَّقاءُ حليفَنا وتخلّفت
أبناؤنا عن موكبِ الأندادِ
متفرّقونَ وما لنا من مُرشدٍ
متخاذلونَ وما لنا مِن هادِ
ما بين مَن بلغوا الرُّقيَّ وبيننا
نلقى طريقَ تضامنٍ وودادِ
هيهاتَ نُدركُ غايةً محمودةً
وعلى الخمولِ بقاؤنا متمادِ
فعلامَ لا ندعُ التّخاذلَ جانباً
ونسير نحو العزِّ كالآسادِ
وإلى مَ نُصبح للجمود نماذجاً
تمشي الشّعوبُ ونحنُ في الأصفادِ
أوَ ما كفانا أنْ نعيشَ على العَمَى
والغيّ والشَّحناء والأحقادِ
فسرى من الآباءِ سوء حياتِهم
من غير ما ذنبٍ إلى الأولادِ
ما فازَ مَن ملكوا البلادَ وأفلحُوا
إلّا بجدٍّ دائمٍ وسدادِ
جعلُوا التّضامنَ في الحياةِ سبيلَهم
إنَّ التّضامنَ مبعثُ الأمجادِ
وسرى النّشاطُ بهم فأحياهُم وما
قدْ دبَّ فينا اليومَ غيرُ فسادِ
فالجهلُ منتشرٌ يزيدُ بلاؤه
والضّعفُ في الأرواحِ والأجسادِ



نهر السراجي ١٩٢٥م

رحلةُ البرتغاليّ (بيدرو تيخيرا)

د. حسين علي المصطفى

انطلاقةُ الرِّحلة

افتتح الرحّالة البرتغاليّ (بيدرو تيخيرا[١] Pedro Teixeira) الرّحلات التي زارها إلى العراق ما بين سنة (١٦٠٤و ١٦٠٥م)، عندما أبحر بسفينةٍ من (لشبونة) إلى الخليج العربيّ، فوصل إلى جزيرة (خَرْج)، وبعدها وصل إلى شطّ العرب، الذي بقيتْ السّفينة فيه خمسة أيّام، وبعدها توجّه إلى منطقة (السرّاجي)[٢]، ومنها دخل إلى نهر العشّار، فمركز الولاية[٣].

والجدير بالذكر، أنّ الرحّالة (تيخيرا) سافر من (لشبونة) برفقة تاجر من البندقيّة وبعض البرتغاليّين، بعد نقل حاجاته، وبعض السِّلع التي جلبها للتجارة، وبعد وصوله إلى بلاد الشام، التحقَ بالقافلة المتوجّهة عَبر الطريق البرّي إلى البصرة، وعند وصفه شطّ العرب [ويبدو أنّه استقاه من الأهالي] قال: إنّه يتكوّن منْ قناتين [ويقصد بهما نهرَي دجلةَ والفرات] تبعدان عن المدينة ثلاثة فراسخ[٤] في منطقة القُرنة، التي توجد فيها قلعةٌ للأتراك، ويُعدُّ هذا النهرُ المصدرَ الأساسَ لمياه الشُّرب وسَقْي المزروعات، وتتفرّع منه قناةٌ صناعيّة [هو نهر العشّار، وهكذا يُسمّيه تيخيرا]، تتّجه إلى شمال المدينة [والأصحّ نحو غرب المدينة]، ومنه تُسقى حقولٌ واسعةٌ، وعددٌ كبيرٌ من البساتين، وأخبره المسنّون أنّ النهرَ كانَ فيما مضى صالحاً للملاحة إلى حدّ المدينة التي تقعُ على بُعدِ ثلاثينَ ميلاً نحو الداخل[٥].

وصفٌ عامٌّ للطبيعة البصريّة وضفاف شطّ العرب

وَصف لنا (تيخيرا) قطعانَ الحيواناتِ الأليفةِ، والبهائم،



وأسْراب الطّيور المتنوّعة، من الإوزّ والبطّ والدّجاج، التي تملأ شاطئ النهر[٦]، وذكر الأحوالَ العامّةَ في البصرة، وأنّ أغلبَ سكّانها من العرب، وكان قسمٌ منهم قدْ جاء إلى السّفينة سباحةً على جلود (قرب) منفوخة؛ لبيع الدّجاج البحريّ[٧]، والإوزّ، والحليب، والزُّبدة، والتّمور، وغيرها من الأطعمة، وكلُّها بأسعارٍ زهيدةٍ جدّاً.

ملامحُ من الوصف العمرانيّ والتركيب الاجتماعيّ للسكّان

ألقتْ السّفينة مرساها في السرّاجي؛ إذْ كانت السُّفن المحمّلة آنذاك ترسو في ميناء البصرة، لتفريغ حمولتها مقابل قلعة يشغلُها الأتراكُ، ربّما كانت مركزاً لاستيفاء الضّرائب، ويوجدُ أكثرُ من قلعة على الشاطئ لحماية المنطقة والسُّفن من هجمات اللّصوص[٨].

غادر (تيخيرا) السّفينةَ، ويبدو أنّه ركبَ زورقاً واتّجه به نحوَ نهر العشّار، وقدْ أُعجِب بالبساتين على ضفّتيه، المزروعة بالنخيل، والخضروات، وأشجار الفاكهة، وحدَّد موقع المدينة من شطّ العرب على بعد ميلين منه، ووصفها بأنّها تقع على أرضٍ منبسطةٍ، وقدَّر عدد بيوتها بـ(عشرة آلاف بيت) داخل القلعة وخارجها [أي إنّ عدد سكّانها في مركز الولاية يقدَّر بخمسين ألفِ نِسمةٍ]، والبيوتُ واسعةٌ وفسيحةٌ، إلّا أنّه انتقدَ بناءَها، ووصفه بالرديء؛ لأنّها مبنيّة من الآجر المجفَّف بالشّمس، الذي لا يصمد أكثر من ثلاث سنوات –على حدّ قوله- وقدْ بالغ في قوله هذا.

أمّا بيوت باقي النّاس، الذين يصفهم بالفقراء، فهي مبنيّة من الحصران (البواري)[٩]، وحُزَم القَصب، الذي يكثر على ضفاف الأنهار. وفي المدينة يوجد حصن مربّع الشكل، وجميع الأسوار والمتاريس بناؤها من الطّين، وعندما وصلها (تيخيرا) كانت شبهَ مهدَّمة، ووصَفَ الاستحكامات فيها بأنّ المدينة يُحيطها خندقٌ عميقٌ وعريضٌ، يُغذّيه رافدٌ واحدٌ[١٠].

ويقول عن العمران في البصرة: إنّه لا توجد في المدينة مبانٍ جديرةٌ بالذّكر، باستثناء بعض الحمّامات العامّة، التي يصفُها بالنظيفة جدّاً والمربحة. والعرف السّائد في الحمّامات أنْ يُسمح للرّجال بدخولها حتّى الظهيرة، وللنّساء من الظهيرة



حتّى مغيب الشمس، وإذا ما سوّلتْ لأحدٍ نفسُه ارتكابَ حماقةٍ، وخرق هذا القانون، فتتمُّ معاقبته بقسوةٍ بالغة[11].

وعند وصول (تيخيرا) البصرة، وصف معظم بيوتها بالخراب، داخل الأسوار وخارجها، وعزا ذلك إلى نارٍ شبّتْ في مستودع البارود قبل ثمانية أو عشرة أيّام، فانفجر خمسة آلاف كيس جلديّ من البارود، وأحدث هياجاً، حتّى اعتقدَ النّاس أنّها نهاية العالم! وقدْ أحدث ضرراً كبيراً في المدينة، التي مضى عليها –الآن- نحو قرنين من الزمان، وهي منتصبة في هذا المكان، وهي في الوقت الحالي في موقعها الثالث[12]. ويحتلّ الأتراك هذه المدينة منذُ أكثر من خمسين سنة، بعد أنْ سيطر عليها أحدُ الطُّغاة العرب [يقصد شيوخ آل مغامس من المنتفق]، ووضعها تحت تصرُّفه.

لم يبيِّن (تيخيرا) تقاليد السكّان وعاداتهم ونوعيّة ملابسهم؛ وعلَّل ذلك بأنّه ليس هناك ما يمكن قوله؛ لأنّهم كلّهم عرب، وملامح معظمهم جميلة، ولاسيَّما الأطفال والنساء، وقدْ وصَفَ أخلاقَهُنَّ بغير الجيّدة!! وهو وصفٌ بغير حقّ، وخصوصاً في ذلك الزمان الذي يُعدُّ الشّرف أغلى ما يحافظ عليه المسلم.

وهناك أتراك، وغالباً ما يستخدم السكّان الجِمال والبغال والحمير والخيول لنقل سلعهم[13]، ويذكر (تيخيرا) أنّه اصطحب لمقابلة أحد أولاد الشّيخ (راشد بن مغامس)[14]، الذي كان يحكم البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ، ويُسمّى (محمّد بن راشد)[15]، الذي رحَّب به، وتساءل عن لغته وعاداته وملبسه[16].

تعجّب (تيخيرا) عندما شاهد منزلاً صغيراً أشبه بالكنيسة، وعندما سأل عنه، قالوا له: إنّه مكان عبادة (عيسى بن مريم)، وكانوا يبجّلونه كثيراً، ويسمُّونه (روح الله)، وأروه بعض الأراضي الموقوفة على الكنيسة، وقدْ أثار ذلك دهشتَه[17].

ويقع قرب الحصن(حوش الباشا) مركز الحركة التجاريّة، ومعظم الحِرف اليدويّة، والمقرّات الرئيسة للحكم، ومباني الإدارة. وهناك مقرّات القيادة العسكريّة، التي تتكوَّن بشكلٍ عامٍّ من ثلاثة آلاف من الجنود المسلّحين والخيّالة إلى جانب الموجودين في المخافر، وتوجد دار مكوس (كمرك)

تَدُرُّ عوائد كبيرة، تُدفَع منها نفقات الحاميات العسكريّة، والتكاليف الأُخَر، ويزيد منها فائض كبير[١٨].

وأشار (تيخيرا) إلى وجود مراكز لصناعة السُّفن في البصرة، ولم يُحدِّد مكانها، ويمكن تحديده في منطقة المنّاوي على شطّ العرب، وتُصنع فيها بعض السُّفن الصغيرة، التي تُسمَّى (قوادس)، تُستخدم في الأنهار والأهوار ضدّ القبائل الموجودة هناك، وتقوم بمهاجمة السُّفن التي تسير في شمال البصرة، وتأخذ منهم (إتاوات) ثقيلة، ولم تكن هذه السُّفن قادرة على التصدّي لسفن البرتغاليّين في جنوب شطّ العرب، على حدِّ قوله، وإنّما تُستخدم في نهر شطّ العرب، والمناطق المجاورة (في مياه الأهوار)، وإنّ عددَ تلك السُّفن قليل؛ لأنَّ كلفتها عالية؛ بسبب شراء أخشاب الصُّنوبر من الخارج؛ لعدم نموّها في المنطقة[١٩].

وأشار (تيخيرا) كذلك إلى وجود جسرٍ خشبيٍّ على النهر مكوَّن من ثمانية قوارب، وفي الأماكن الأُخَر يعبُر النّاس على قوارب صغيرة يسمّونها (دوانق)[٢٠]، مصنوعة من قطع خشب صغيرة، ومغطّاة بالقار من الأسفل.



الزّراعة والاقتصاد

وصف تيخيرا البصرةَ بأنّها أرضٌ زراعيّةٌ خِصبة، ولاسيّما زراعة النخيل الكثيفة، التي تُنتج أنواعاً متعدّدة وفاخرة جدّاً من التمور، وتقوم بتصدير البعض منها إلى بغداد، وإلى موانئ بلاد فارسَ وهرمزَ سنويّاً؛ كونها تُعدُّ مورداً غذائيّاً رئيساً للنّاس عامّة، وأشار إلى أنّ البصرة يُزرعُ فيها كلُّ صنوف الفاكهة والخضار والقمح والشعير والرّز والحبوب الأُخَر، وهي وَفيرة ورخيصة الثّمن، وهناك حركة استيراد من موانئ بلاد فارس، مثل: بوشهر، وبندريق، وسيف الدّين، وبعض المدن كـ(الدّورق)؛ لذا يبقى السّعر منخفضاً، وتوجد أنواع من المواشي الصّغيرة والكبيرة، وأنواع كثيرة من الطّيور المائيّة، والدّجاج المائي، والأسماك النهريّة، ويصفُ طعمَ الأخيرة بأنّه ليس لذيذاً، وربّما كان متعوّداً على طعم أسماك بلاده؛ لذا وصفها بهذا الوصف، وأشار -أيضاً- إلى وجود نشاطٍ تجاريٍّ بين البصرة وبغداد، وكلّ أنحاء الجزيرة العربيّة، وهرمز، التي تأتي منها كلُّ السِّلَع الهنديّة، وكذلك مع البحرين، والقطيف، والأحساء، وبلاد فارس.

وذَكَرَ (تيخيرا) أنّ جميع النقود الذّهبيّة والفضيّة متداولة في البصرة، بما تساويه قيمتها من العملات الأُخَر، ولكنّ النقود المضروبة في دار السكّة مصنوعة من الفضّة والنّحاس، ومنها: العملات الفضّيّة(اللّارينات)[٢١]، و(الشّاهيّات)[٢٢] ذات الأشكال الجميلة جدّاً، وعيارُها أقلّ من عيار (اللّارينات).

ويوجد في جنوب مقرّ الإمارة المسمَّى (حوش الباشا) مكانٌ كبيرٌ مفتوحٌ ومستوٍ، يُدعى (المشراق)، يُستخدم سوقاً عامّاً للبيع والشراء، ومعرضاً لمختلف السِّلع، فضلاً عن استخدامه في أيّام الجُمَع ملعباً للفروسيّة، يُبرِز فيه الخيّالة فعّاليّاتهم، وهم خُبراء، وأعدادهم كثيرة، والمصلُّون يأتون للصّلاة في الجوامع، ومشاهدة هذه الفعّاليّة، ولا يتوقّفون عن مزاولة أعمالهم، ومتابعة تجارتهم، في ذلك اليوم، مقلِّلينَ من حرمة يوم الجمعة.

عند مغادرة (تيخيرا) البصرة [وكان يسكن في بيت تاجر بندقيّ في المدينة] اختار الطريقَ البريّ، طريق (بصرة–حلب) التجاريّ، واتّفق مع رئيس القافلة الحاج (محمّد بن فلاح العدسانيّ)، وجلب معه ثلاث (بالات) من صبغ النّيلة لبيعها في بعض المدن والاستفادة من أرباحها، ولم يختر طريق نهر دجلة؛ خوفاً ممّا سمعه من وجود اللّصوص الذين يُهاجمونَ السُّفن، ويفرضون (الإتاوات) على الركّاب وسلعهم، ويصفُ بداية تحرّك القافلة خلال بساتين النخيل المحيطة بنهرَي (العشّار والخُورة).

وفي نهاية المدينة شاهدَ الأرض مغطّاة بالمِلح، وعزاهُ إلى انسياح مياه ما سمّاه (بحر الخليج الفارسيّ)، التي تغمرُ تلك الأراضي في بعضِ الأجزاء؛ ولذا أصبحت تلك الأراضي مهجورة، بعد أنْ كانت خِصبةً فيما مضى، والصّحيح أنّ مياه الخليج لاتصلُ إلى هذه المنطقة في غرب البصرة، وأنّ تلك المياه الموجودة تنساح من شمال البصرة من نهر الفرات في منطقة (كَرمة علي)، وقت ارتفاع المياه فيه في فصل الرّبيع، وشاهد (تيخيرا) سدّاً ترابيّاً غرب المدينة، وقدَّر ارتفاعه بين ستّة إلى سبعة أشبار، وعرضه أربعة أشبار.

الدّريهميّة

وبعد مسيرة أربعة فراسخ، توقّف عند منطقة تسمّى (الدّريهميّة)، وحدَّد موقعها عند منتصف خرائب البصرة الثانية[٢٣]، مبيّناً إمكان رؤية بعض آثار هذه المدينة، فضلاً


جبل سنام

عن الجامع الكبير، ووصف هذه المدينة بـ(العظيمة) لكلِّ مَن يُشاهدها، وشاهد بعض الآبار الصّالحة للشّرب، وأراضي مزروعة بغلال القمح والشّعير والفواكه.

جبل سنام

بعد انطلاق الرّحلة، كان وكلاء الشّيخ (محمّد بن راشد) يتشاجرون مع المسافرين على فرض (الإتاوات) على ما يحملونه من سلع، ثمَّ سارت القافلة بالاتجاه الشماليّ الغربيّ، وذكر (تيخيرا) أنَّ هناك سلسلة جبال يُطلِق عليها العرب(جبل سنام)، وذكر له الأهالي أنّ كمّيّات وفيرة من المياه كانت موجودة في المكان، تتزوَّد بها القوافل في طريقها من البصرة إلى مكّة.

البرجسيّة

وبعدها واصلت القافلة سيرَها، وبعد ميلين توقّفتْ في منطقةٍ فيها آبار مياه عذْبة تسمّى (البرجسيّة)، في سهلٍ مُلئ بنبات الحنظل، الذي يستخدمه عرب الصّحراء دواءً





بعد خلطه مع حليب النّوق، وفي هذه المنطقة تتمُّ عمليّة صرف العملات -على حدّ قوله- وفي هذا المكان اجتمعتْ القافلة التي كانت تتكوّن من مائة وخمسينَ جملاً، وخمسة وتسعينَ حماراً، واثني عشر حصاناً، على الرُّغم منْ أنّ عددَ المسافرينَ أقلُّ من هذا العدد، وعند مشاهدة الأهالي هذا التجمّع، فرُّوا وابتعدوا عن المكان...**جويبدة**

وخلال مسيرة القافلة عصراً، اجتازتْ أراضي منبسطةً توجد فيها عدّة آبار ذات مياه صالحة للشُّرب، وفي هذه المنطقة توجد خرائب مبنيّينِ كبيرينِ، يُعتقدُ أنّهما كانا فيما مضى مساكن لشيوخ آل مغامس، وتسمّى (جويبدة)[٣٤].

الرُّميلة

في صباح يوم (٧) أيلول استأنفت القافلة مسيرها، ووصلتْ إلى منطقةٍ منبسطةٍ، يُسمِّيها العرب (الرُّميلة)، وتوجد فيها ثماني خيم، وشُوهد دخانٌ كثيفٌ ناتجٌ عن حرق العرب الساكنينَ هناك القصبَ الموجود؛ لغرض تهيئة الأرض للزراعة، وشاهد (تيخيرا) الأرانبَ البريّةَ، واليرابيعَ التي يتمُّ صيدُها وأكلُها من قبل البدو(٣٦).

وتنبّه (تيخيرا) إلى أنّ العشائر تُحافظ على مسافاتٍ متقاربة للسكن فيما بينها، حتّى تجعلَ القوافلَ مضطرّةً لدفع (الإتاوات) لها؛ لتأمين معاملة جيّدة، أو لإرشادها إلى الطريق الصّحيح، ومواضع شرب المياه، وبخلاف ذلك لا يمكن للقافلة المرور.

الهوامش

١- بيدرو تيخيرا: كُتب اسمُه في الترجمات السّابقة باسم (تكسيرا)، أو (تاكسيرا)، والأصحّ هو (تيخيرا)، كما يلفظ في اللّغة البرتغاليّة، وهو رحّالة برتغاليّ، يرجّح أنّ ولادته سنة (١٥٧٠م)، وأنّه زار العراق بين سنة (١٦٠٤-١٦٠٥م). يعتقدُ أنّه ينتسب إلى إحدى العوائل اليهوديّة، بالرُّغم من عدم إشارته إلى ديانته، ولم يُشر إلى الغاية من أسفاره، هل كانت التجارة، أو غير ذلك؟ للمزيد من التفاصيل عن حياته وأسفاره، يُنظر: رحلة (بيدرو تيخيرا من البصرة إلى حلب عَبر الطريق البرّيّ ١٦٠٤-١٦٠٥م)، ترجمة وتعليق: أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م: ص ٥-١٤.


نهر الخورة

٢- السّرّاجيّ: منطقة في قضاء (أبو الخصيب)، جنوب العشّار، كانت الميناء الرئيس للبصرة آنذاك، سُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى صناعة السُّروج فيها. يُنظر: الحيدريّ، إبراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدريّ البغداديّ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، ١٩٩٩م: ص١٧٩، والمصطفى، حسين علي عبيد، البصرة في مطلع العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٦٦٨م)، دمشق، ٢٠١٢م.

٣- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص١٢.

٤- ثلاثة فراسخ: الفرسخ يُساوي ثلاثة أميال، والميل العربيّ يُساوي(١٩٧٣متراً)، ومن ثَمَّ تُصبح المسافة(١٧,٧٥٤) كيلو متراً. يُنظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلاميّة، ترجمة: كامل العسلي: ص٩٤، وإذا كان (تيخيرا) يقصد بالمدينة (المشراق والسّيمر)، فقدْ جانَبَ الصّواب في ذلك؛ إذْ إنّ البُعد الصّحيح هو (٥) كيلو مترات.

٥- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٢٨-٤٠. لقدْ بالغ (تيخيرا) كثيراً في احتساب هذه المسافة، والصّحيح أنّها تبعد (٢٢) كيلو متراً، أي ما يقرُب من (٢٤٢، ١٣) ميلاً، وليس (٣٠) ميلاً.

٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣١.

٧- الدّجاج البحريّ: يُطلِق عليه الأهالي دجاج الماء، ويكون لونه أسود.

٨- يُنظر: المصدر نفسه.

٩- البواريّ: نسيج من عيدان القصب، يقوم بصناعته أهل الأهوار في جنوب العراق، ويُستخدم غطاءً للبيوت المبنيّة من القصب أو الطين، وغيرها من الاستعمالات.

١٠- هناك رافدان يغذّيان الخندق، هما: نهر العشّار من الجنوب، ونهر الخندق من الشّمال.

١١- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٠.

١٢- هذا هو الموقع الثاني لمدينة البصرة، وليس الموقع الثالث؛ إذْ إنّ الموقع الأوّل للمدينة تقع عليه الآن مدينة الزبير، وكان مسجد البصرة الكبير يقع في وسطه، وقدْ أطلق عليه الرّحّالة (ابن بطّوطة) اسم(مسجد الإمام عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه))، ويبدو أنّ (تيخيرا) لم يميّز بين الموقع الأوّل والثاني.

١٣- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٣٧.

١٤- راشد بن مغامس: من شخصيّات إمارة آل مغامس التي حكمتْ البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ للبصرة سنة (١٥٤٦م)، وكان قدْ قدَّم فروض الطّاعة للسّلطان العثمانيّ (سليمان القانوني ١٥٢٠-١٥٦٦م) عند احتلاله بغداد سنة (١٥٣٥م)، وعلى أثر ذلك تمّ تثبيته حاكماً على البصرة.

١٥- محمّد بن راشد: أحد أحفاد راشد بن مغامس، الذين تركوا البصرة بعد الاحتلال العثمانيّ لها، والتجأوا إلى بادية البصرة، واتخذوا من منطقة كويبدة (جويبدة) مقرّاً لهم. للمزيد من التفاصيل عن أسرة آل مغامس، يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٤-١٤٧.

١٦- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٠.

١٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤١.

١٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٤.

١٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٥، ٣٨.

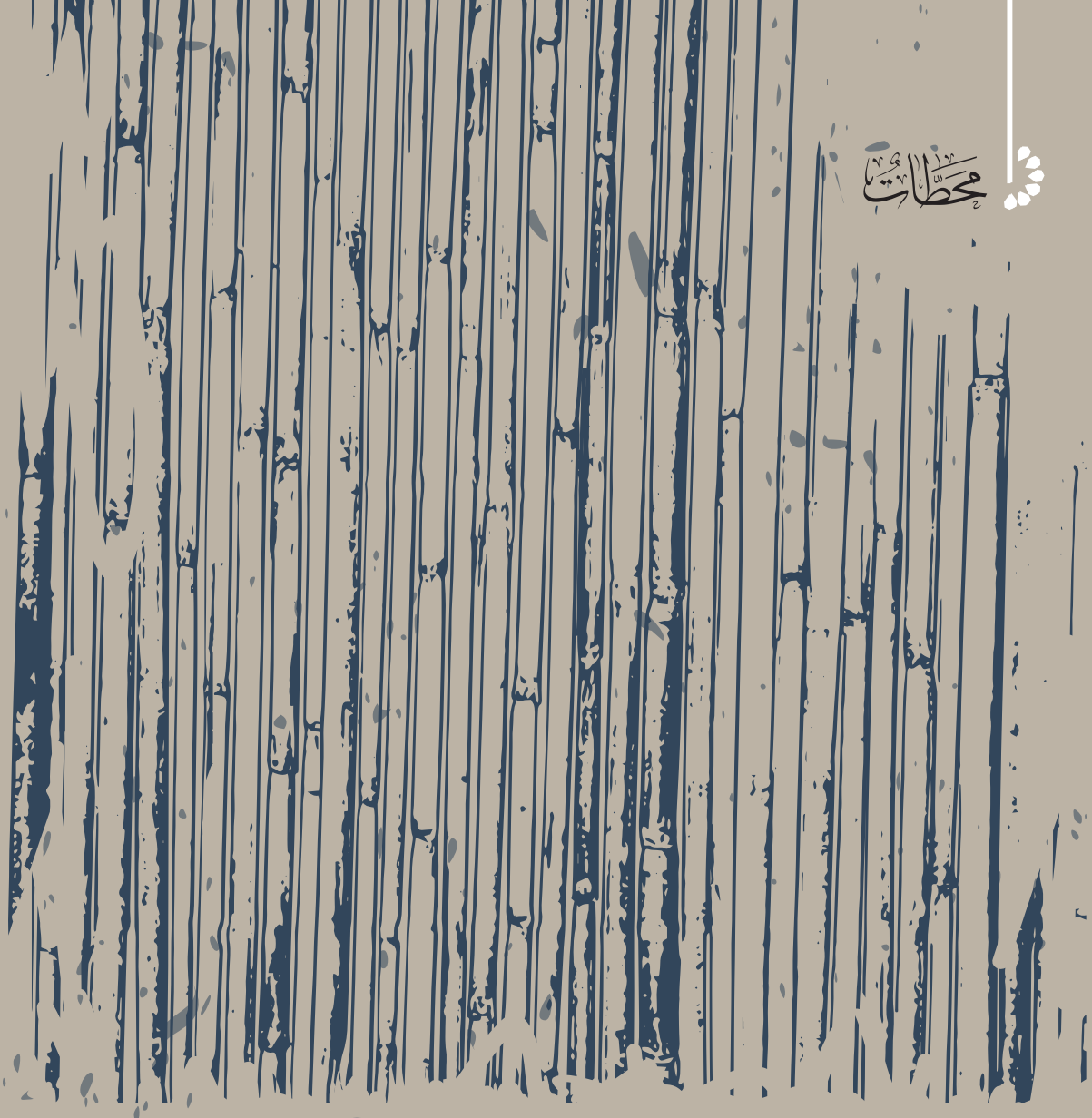
٢٠- لا يوجد في أنهار البصرة –على حدّ علمي- وسيلة نقل نهريّة تسمّى (دانك)، والبلم هو الوسيلة التي تقوم بالنقل، وهو زورق مصنوع من الخشب.

٢١- اللّاريّات: هكذا تُسمَّى في مدينة (لار)، التي قيل: إنّها سُكَّت فيها أوّلاً، وكانت تساوي عشر بنسات، في حين ذكر مصدر آخر أنّ (اللّارين)، أو (اللّاري) كلمة فارسيّة، وهي نوع من العملات المعدنيّة التي كانت تُستخدم في سواحل الخليج، والسّاحل الغربيّ للهند وجزر المالديف، وشكلُها طولانيّ ذات نهايات منحنية. ينظر: هامش المترجم: ص٣٨.

٢٢- الشّاهي: نقدٌ نحاسيّ إيراني، يشبه البارة التركيّة، أو الفلس العراقيّ، وقدْ اختلفت قيمتها باختلاف الزّمن والبلدان، وإنّ كلمة شاهي ليست منسوبه لشاه إيران، وإنّما هي نقود عثمانيّة –أيضاً-. يُنظر: هامش المترجم: ص٣٨، ٣٩.

٢٣- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٦، والصّحيح البصرة الأولى؛ إذْ قامت مدينة الزبير على أنقاض البصرة الأولى (بصرة عتبة بن غزوان)، ولم تكن هذه البصرة الثانية؛ لأن الثانية التي انتقل إليها النّاس كانت في محلّة الباشا والمشراق والسّيمر. يُنظر: القطرانيّ، حسين علي عبيد، الزبير في العهد العثمانيّ(١٥٧١-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة ١٩٨٨م.

٢٤ جويبدة: منطقة تقع في نهاية مدينة البصرة الأولى، اتخذها آل مغامس مقرّاً لهم بعد الاحتلال العثمانيّ لمدينتهم. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٦.



أمثالُ شعبيّة

خِصْ يَمْ خِصْ،
خِصْ المْطَيَّنْ خِصْنَه

الخِصْ: سياجٌ من القَصَب، أو من فُروع الأشجار. وفي اللغة: الخصُّ بالضمَ: البيتُ من القَصَب، أو البيت يسقَّفُ بخَشَبَة، جمعُهُ خِصاصٌ وخصوص.

المعنى: إنّ بيوتَنا مجتمعُ خصوص، فكلّ خِصٍّ مجاورٌ للخصّ الآخر، والخصّ المطليّ بالطين هو خصّنا وبيتُنا.

يُضرب للدلالة المُبهمة على المَكان، كما يضرب لجَهلِ بعضِ الناس في الدلالة على ما يقصدون بألفاظ معمّاة مضطربة، وكذا يُضرب للكلام غير الواضح.

وقيل في أصل المثل أنّ امرأةً زنجيّةً وَصَفَت موقعَ بيتها لصديقة لها، فراحت تفرقع الصاداتِ وتتلاعبُ في اضطرابِها وقلبِها وهي تقول: خِصْ يَمْ خِصْ، خِصْ المْطَيَّنْ خِصْنَه. فذهب ذلك مثلاً.



إِلْتِخَفَّفْ عِشاه، حِمَدْ مَنامَه

عشاه: عشاؤه، طعام العَشاء.

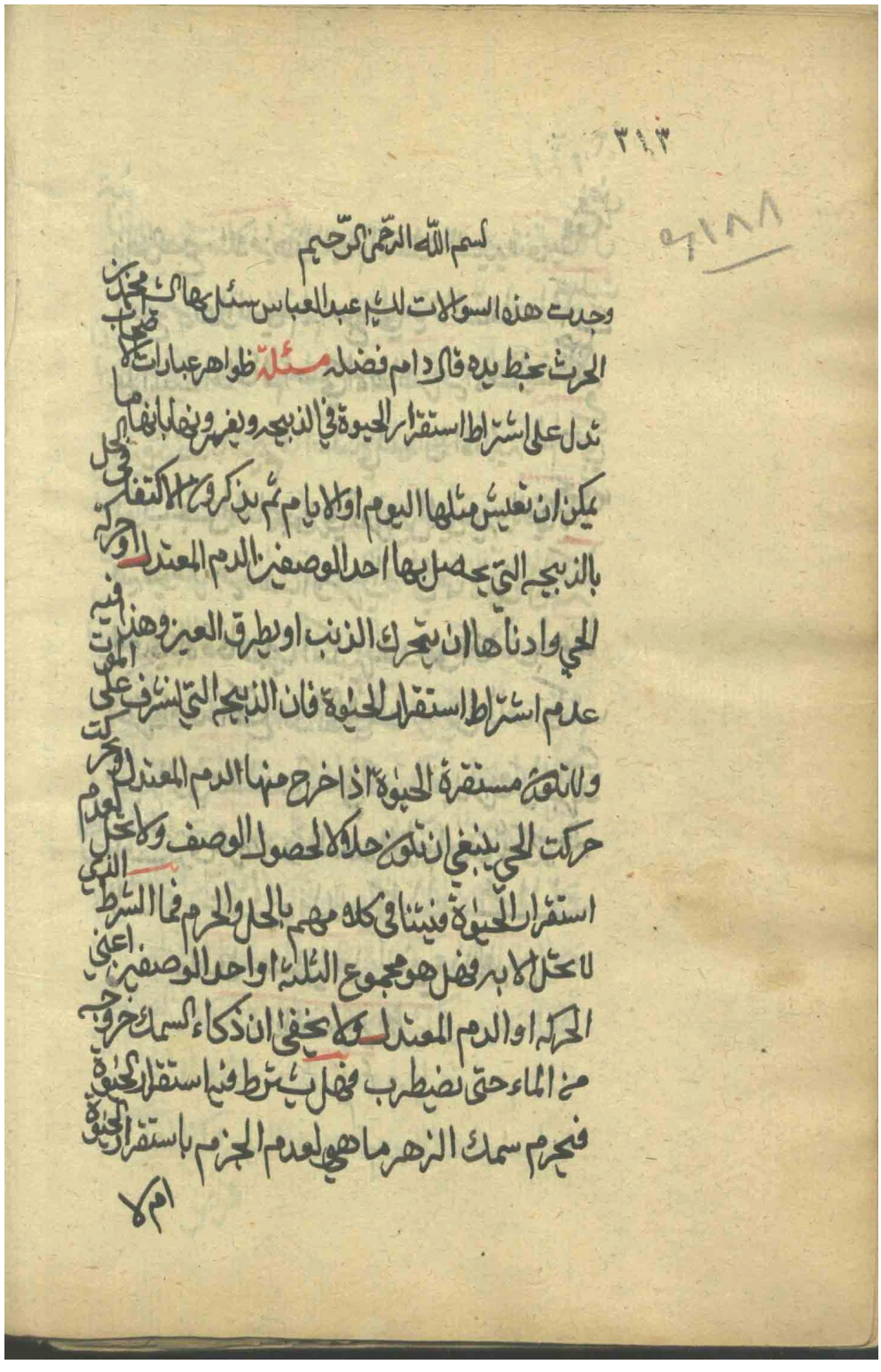
المعنى: من قلّل طعامَ عشائه، نام ليلتَه في راحة، وأصبح حامدا نومَه تلك الليلة.

يضرب لمَنْ يُكثر من طَعام العَشاء، فيستيقظُ مُتخماً في الصباح، ويقضي ليلته متوعّكاً، مضطرباً.

وعلى العكس من ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وآله : ((إيّاكم والبِطنَة ؛ فإنّها مَفسَدَةٌ للبدن ، ومورثَةٌ للسَّقَم ، ومكسلةٌ عن العِبادة)) [1]

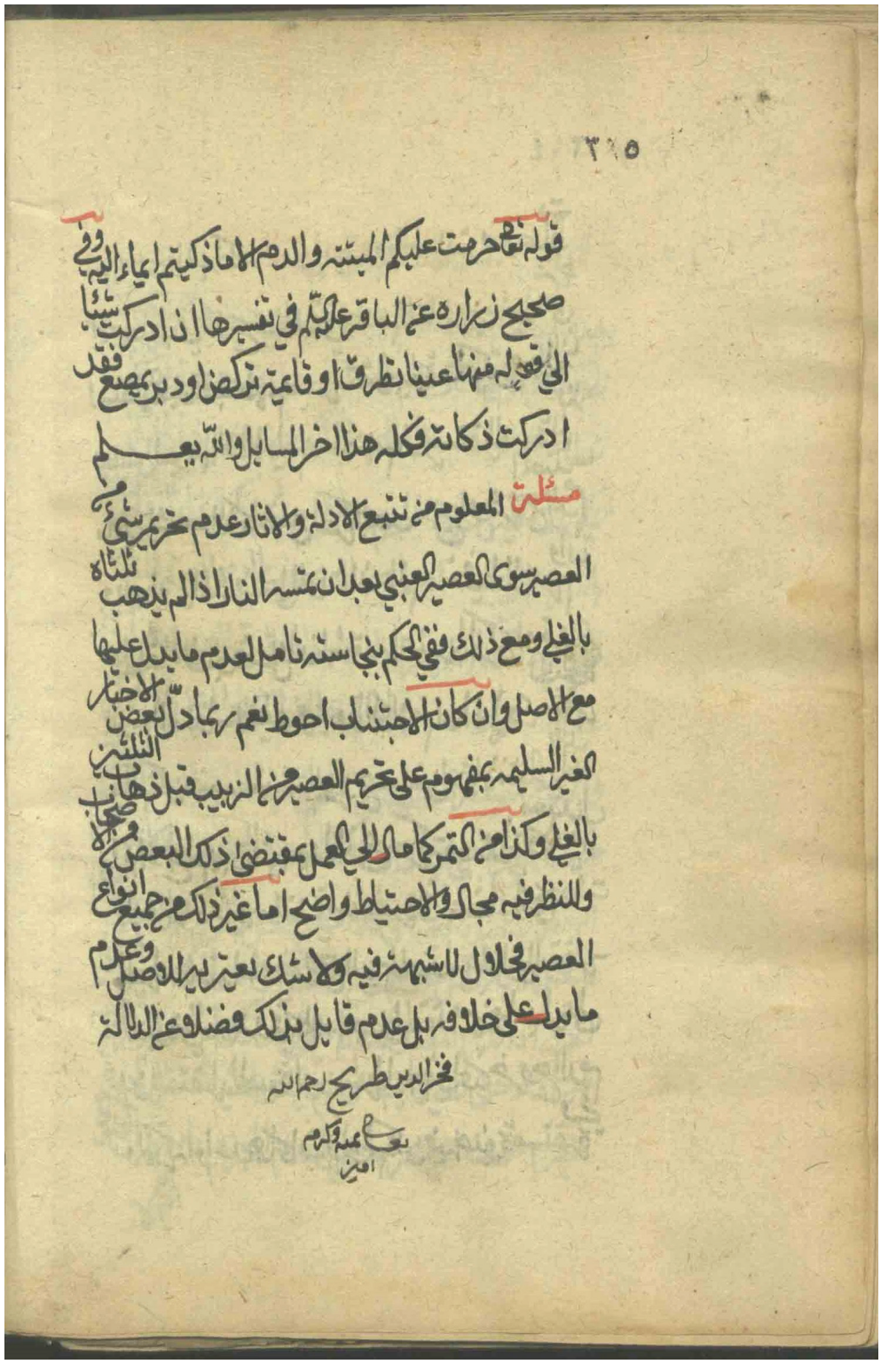
١- بحار الأنوار:٢٦٧/٥٩.



بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت هذه السؤالات لابي عبد العباس سئل بها ابا محمد بن الحرث بخط يده فاكرام فضله مسئلة ظواهر عبارات اصحابنا ما تدل على اشتراط استقرار الحيوة في الذبيحة ويفهر ونها بانها ما يمكن ان نعيش مثلها اليوم او الايام ثم يذكرون الاكتفاء في الحل بالذبيحة التي يحصل بها احد الوصفين الدم المعتدل او الحركة الحي وادناها ان يحرك الذنب او يطرق العين وهذا فيه عدم اشتراط استقرار الحيوة فان الذبيحة التي اشرف على الموت ولا تكون مستقرة الحيوة اذا خرج منها الدم المعتدل او حركت الحي ينبغي ان تكون حلالا لحصول الوصف ولا تحل لعدم استقرار الحيوة وفيتنا في كلامهم بالحل والحرام فما الشرط الذي لا يحل الا به فهل هو مجموع الثلثة او احد الوصفين اعني الحركة او الدم المعتدل ولا يخفى ان ذكاء السمك خروجه من الماء حتى يضطرب فهل يشترط فيه استقرار الحيوة فيحرم سمك الزهر ما هي لعدم الجزم باستقرار الحيوة ام لا

الصفحة الاولى من مخطوطة سؤلات الشيخ عبد عباس للشيخ محمد بن حارث المنصوري، الخط نسخ



الصفحة الاخيرة من مخطوطة سؤلات الشيخ عبد عباس للشيخ محمد بن حارث المنصوري، الخط نسخ





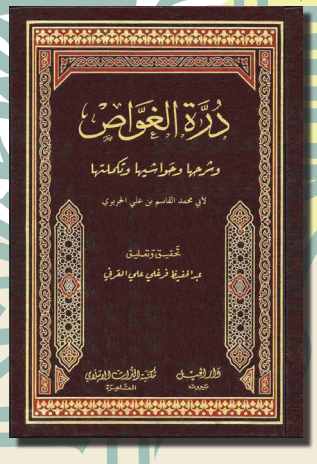
معالم حياة البصريين عام ١٩٠٦م، تصوير ويلفريد ماليسون



مجموعة من الصور لسماحة السيد عبد الحكيم في قضاء السيبة على ضفاف شط العرب أمام دار سماحة السيد محمد جواد الحكيم عام ١٩٧٤ م ويبدو في الصورة إلى يسار السيد من الجالسين: الشيخ محمد علي راضي المطفر والسيد عبد المنعم الصافي والسيد عيسى الصافي



نهر الخورة عام ١٩١٤م



شذرات من اللغة والأدب
كتاب درة الغواص في أوهام الخواصّ(٣)

الشيخ الدكتور : محمود العيداني

من حميد الأخلاق غيرةُ المرء على لغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجات الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن حَنايا الصدور، وخَلَجات النفوس، فإذا ما ضعفت قوّتها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعت الدقّة في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يزيد عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّك حماةُ اللغة من قديمٍ لوضع القواعد والأسس لاستقامة اللسان، والتنبيه على مواطن الخَلل، وتقويم ما اعوجّ، والسير على هدى السابقين، مع فحصِ الأحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخلل، دون إغفالٍ لعوامل التطور والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمة اللغة العربيّة عند أهلها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحرصِ علمائها على تقويم استعمالها على مرّ العصور، فقد قام عددٌ من العلماء بتأليف المعاجم اللغويّة؛ توثيقا لتراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلاف، وتنميةً لما غاب عن الأذهان، وحمايةً للّغة من الضياع، وقام آخرون بتتبّع استعمال مفردات اللغة، وتصحيح الأخطاء، وبيان الفصيح والأفصح؛ استنادا على المخزون اللغويّ من كلام العرب الفصحاء.

ومن بين هؤلاء العلماء: ابنُ قتيبة في أدب الكاتب، والحريريُّ في درّة الغوّاص، فقد قاما بتقويم غير الصحيح الوارد في استخدام العوام والخواصّ، وبيان جهات القصور، سواء أكان في البنية، أم التركيب اللغويّ، أم الدلالة؛ وفق مقاييس وضوابط وأصول[1].

وقد تقدم في المقال السابق تسليطُ الضوء على كتاب للحريريّ، القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان، أبو محمّد، الحريريّ، البصريّ، صاحبِ المقاماتِ المعروفة المشهورة[٢]، وهو كتاب (درّةُ الغوّاص في أوهام الخَواصّ)؛ لبيان بعض ما يخطئ فيه المتكلّمون بالعربيّة ويلحَنون به.

وممّا يجعلُ الكتابَ جديراً بالقراءة ليس ما جاء فيه من معلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لابدّ من تعلّمه فقط، وإنّما ما خالَطَ هذه المعلومات القيّمة من إضافات أدبيّة وقصصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعلمِ والمعرفةِ والثقافةِ الوقوفُ عليها، وقد وقع القرار على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتمَّ بذكرها الحريريُّ، ونقلها على شكل مقالات متسلسلة تقدم منها مقالان، وهذا هو المقال الثالث من تلك المقالات.

قال ﷺ:

«وَيَقُولُونَ: أزِفَ وَقتُ الصَّلَاة؛ إشارة إِلَى تضايُقه ومشارفَة تصرُّمه، فيحرِّفونه في مَوْضِعه، ويعكسون حَقِيقَةَ الْمَعْنى في وَضعه؛ لِأَن الْعَرَب تَقول: أزِفَ الشَّيْء بِمَعْنى: دنا واقترَب، لَا بِمَعْنى: حَضَرَ وَوَقع، يدلُّ على ذَلِك أَن سُبْحَانَهُ سمّى السَّاعَةَ آزفةً، وَهِي منتَظَرَةٌ لَا حَاضِرَة، وَقَالَ عزَّ وَجلَّ فِيهَا: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ}[٣]، أَي: دنا ميقاتُها وَقرُب أوانُها، كَمَا صرَّح جلَّ اسْمُه بِهَذَا الْمَعْنى في قَوْله سُبْحَانَهُ: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}[٤]، وَالمُراد بذكر اقترابها: التَّنْبِيهُ على أَنّ مَا مضى من أمدِ الدُّنْيَا أَضْعَافُ مَا بَقِيَ مِنْهُ؛ ليتّعظ أولو الْأَلْبَاب بِهِ.

وَمِمَّا يدل أَيْضا على أَنَّ أزِفَ بِمَعْنى: اقْتَرَبَ، قَولُ النَّابِغَة:

أزِفَ الترحُّلُ غيرَ أَنَّ رِكَابنَا
لمّا تَزَلْ برحالِنا وَكَأَنْ قَدِ

فتصريحُه بِأَنَّ الركابَ مَا زَالَت، يشْهدُ بِأَنَّ معنى قَوْله: أزِفَ، أَي: اقْتَرَبَ؛ إِذْ لَو كَانَ قد وَقعَ، لَسَارَتْ الركاب.

وَمعنى قَوْله: وَكَأن قد: أَي: وَكَأن قد سَارَتْ، فَحَذَفَ الْفِعْلَ لدلَالَة مَا بَقِي على مَا أُلْقى.

وَنبَّهَ بقدْ على شِدَّة التوقُّع وتداني الْإِيقَاعِ لَهُ.

وَالْعرَبُ تَقول فِي كلّ مَا يتَوَقَّع حُلُوله، ويُرصد وُقُوعه: كَانَ قَد، أَي: كَانَ قد وُجد كَونُه، وأظلَّ وقعُه»[٥].

الهوامش

١- من مقالة للأستاذة أنسام محمد الحسيني، بعنوان (الإنتصار للخواص من الحريري الدلالة أنموذجا)، منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد العدد (٨) ٢٠١٦، ص١٣.

٢- أنظر ترجمته المفصلة في: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٩٥ و ١٢١، المنتظم لابن الجوزي: ٩/ ٢٤١، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٦/ ٢٦١، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣- النجم: ٥٧.

٤- القمر: ١.

٥- المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص١٤.



من أعلام البَصرة الشاعرُ الأديبُ عبدُ الله بنُ أيّوب الخُرَيْبِيّ

د. أشرَف عبد الحَسَن

تميّزت البصرةُ عبرَ تاريخها الطّويل بالشّعر والشّعراء، فاشتهرت بسوقِ المِرْبَد في العصر الاسلاميّ، الذي كانَ ملتقى الشّعراء والأدباء والخطباء، فكانت المربدُ محطّةَ استراحةٍ للتجّار، الذين كان أغلبُهم يُجيد الشعرَ والخطابةَ وفنونَ اللغة، ومن شُعراء البَصرة الذين عرفوا بانتمائهم وولائهم لأهل بيت النبيّ ﷺ: أبو محمّد، عبدُ الله بن أيّوب الخريبيّ البصريّ، الشاعرُ الأديبُ الفاضلُ، عُدَّ من متّقي شُعراء أهل البيت عليهم السلام[1]، وعاصرَ إمامَةَ الرضا عليه السلام، وكان من المنقطعين إليه، ولما تُوفّي عليه السلام، وقف يؤبّنُه بقصيدة، ويمتدح الإمامَ محمداً الجوادَ عليه السلام، قال فيها[2]:

يَا بْنَ الذَّبِيْحِ وَيَا بْنَ أَعْرَاقِ الثَّرَى
طَابَتْ أَرُوْمَتُهُ[3] وَطَابَ عُرُوْقَا[4]

يَا بْنَ الْوَصِيِّ وَصِيِّ أَفْضَلِ[5] مُرْسَلٍ
أَعْنِيْ النَّبِيَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوْقَا

مَا لُفَّ فِيْ خِرَقِ الْقَوَابِلِ مِثْلُهُ
أَسَدٌ يُلَفُّ مَعَ الْخَرِيْقِ خَرِيْقَا[6]

يَا أَيُّهَا الْحَبْلُ[7] الْمَتِيْنُ مَتَى أَعِدْ
يَوْماً بِعَقْوَتِهِ[8] أَجِدْهُ وَثِيْقَا

أَنَا عَائِذٌ بِكَ فِي الْقِيَامَةِ[9] لَائِذٌ
أَبْغِي لَدَيْكَ مِنَ النَّجَاةِ طَرِيْقَا

لَا يِسْبِقَنِّيْ فِيْ شَفَاعَتِكُمْ غداً أَحَدٌ فَلَسْتُ بِحُبِّكُمْ مَسْبُوْقَا

يا ابنَ الثمانيةِ[10] الأئمّةِ غَرَّبوا[11] وأبا الثلاثةِ شرَّقوا تَشريقا

إنَّ المَشارقَ والمَغاربَ[12] أنتمُ جاءَ الكتابُ بذلكُم تَصديقا

وقد وقعَ الاختلاف اللغويُّ بين المصادر في نسبة عبد الله بن أيّوب للخُرَيْبة بسبب اختلاف نُسخ الكتب؛ إذ لقّبَه بعضُ المصنّفين[13] بعدّة ألقاب منها: الجزّينيَ، والجُرَيْنيّ، والحُزَيْميّ، والخُزَينيّ، والخريتيّ، والعامليّ، ولكنّ المرجّح عندنا نسبتُه للخُريبة، وهذا الرأي يؤيّده المصنّفون والمحقّقون[14].

والخُرَيبة مكانٌ دون دجلةَ فيه قصرٌ وفيه ديادبةُ الأعاجم، يُقال له: الخريبة، ويُسمَّى أيضاً البُصَيْرة. بينه وبين دجلةَ أربعةُ فراسخَ، له خليجٌ يجري فيه الماء إلى أَجَمَة قَصَب[15]، وهي محلَّةٌ مشهورةٌ بالبصرة[16]، بلفظ تصغير خَرِبَة: موضعٌ بالبصرة، وسُمِّيَت بذلك فيما ذكره الزجّاجيُّ لأنّ المَرْزُبانَ كان قد ابتنى به قصراً وخَرِبَ بعدَهُ، فلمّا نزل المسلمونَ البصرةَ، ابتنوا عنده وفيه أبنيةٌ وسمُّوها الخُرَيبة، وقال حمزةُ: بُنيَت البصرةُ سنة ١٤ من الهجرة على طرف البرّ إلى جانب مدينةٍ عتيقةٍ من مُدُن الفُرس كانت تسمّى (وهشتا باذ أردشير)، فخرّبها المثنّى بنُ حارثةَ الشّيبانيّ بشنّ الغارات عليها، فلمّا قَدِمَت العربُ البصرةَ، سَمّوها الخُريبة[17].

لم تذكر المصادرُ سنةَ ولادتِه ولا وفاتِه، ولكنْ، استناداً الى أنّه كان معاصراً للإمام الرضا عليه السلام، تكون ولادتُه في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، فيما تكون وفاتُه في النصف الأوّل من القرن الثالث للهجرة؛ استناداً الى أنّه عاصر الإمامَ الجوادَ عليه السلام.

الهوامش

١- معالم العلماء، لابن شهر آشوب، ١٨٦؛ أمل الآمل، للحر العاملي،١/ ١١١، ترجمة ١٠٤؛ أعيان الشيعة، الأمين، ٨/ ٤٦ــ ٤٧.

٢- ينظر: كتاب مقتضب الأثر، لابن عياش الجوهري، ٥٠ــ ٥٢؛ معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ١١/ ١٢٣ــ ١٢٤، ترجمة ٦٧٢٧.

٣- الأرومة: أصلُ الشجرة، واستعمُلت للحَسَب، فقالوا: هو طيّب الأرومة، كريمُ الأصل.

٤- أعراق الثرى: أصول الأرض وأركانها من الأئمّة والأنبياء، والمراد: ابنُ خير أصول الأرض.

٥- ووردت بلفظ أكرم عند: الأمين، أعيان الشيعة، ٨/ ٤٧؛ معجم رجال الحديث، للخوئي، ١١/ ١٢٤، ترجمة ٦٧٢٧.

٦- هذا البيت ورد عند: ابن عياش الجوهري، مُقتضب الأثر، ٥١. ونقله عنه: المجلسيّ، بحار الأنوار، ٤٩/ ٢١٩، حديث ٧، باب ٢٢.

٧- ورد بلفظ الجبل عند: الأمين، أعيان الشيعة، ٨/ ٤٧.

٨- العقوة: الساحة والمحلّة.

٩- هذه الكلمة وردت مصحّفة عند: ابن عياش الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٥١.

١٠- وردت مصحّفة بلفظ الثانية عند: ابن عياش الجوهري، مقتضب الأثر، ص٥١.

١١- غَرَّبَ عن وطنه: ابتعدَ. والمراد: من مضى منهم ومات.

١٢- جاءت مصحّفة بلفظ المُقارب عند: ابن عياش الجوهري، مقتضب الأثر، ص٥٢.

١٣- ينظر: معالم العلماء، لابن شهر آشوب، ١٨٦؛ أمل الأمل، للحرّ العاملي، ١/ ١١١ــ ١١٢، ترجمة ١٠٤؛ بحار الأنوار، ٤٩/ ٢١٩، حديث ٧، باب ٢٢؛ الصدر، تكملة أمل الآمل، ص٢٦٨، ترجمة (٢٣٦)؛ مُستدركات علم رجال الحديث، للنمازي، ٤/ ٤٨٧، ترجمة ٨٠٩٧.

١٤- ينظر: السيّد حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، ص٢٦٨، هامش رقم ٣، ترجمة (٢٣٦)؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٨/ ٤٧.

١٥- ابن الفقيه، البلدان، ٢٢٧.

١٦- معجم ما استعجم، للبكريّ الأندلسيّ، ٢/ ٤٩٥؛ الأنساب، للسمعانيّ، ٣٥٤/٢؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢/ ١٩؛ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، ١/ ٤٣٧ – ٤٣٨؛ لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٣٥٠؛ لب اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطيّ، ٩٢.

١٧- مُعجم البلدان، ٢/ ٣٦٣.



«إسماعيلُ بنُ عليّ العمّيّ، أبو علي البصريّ، أحدُ أصحابنا البصريّين، ثقةٌ، له كتبٌ منها كتاب (ما اتّفقت عليه العامّة بخلاف الشّيعة من أصول الفرائض)»[1].

رواياتُهُ

١/ ما روي في الغيبة، للنّعمانيّ، عن «أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: حدَّثنا حميد بن زياد من كتابه وقراءته عليه، قال: حدَّثني جعفر ابن إسماعيل المنقريّ، عن عبد الرَّحمن بن أبي نجران، عن إسماعيل بن عليّ البصريّ، عن أبي أيّوب المؤدّب، عن أبيه-وكان مؤدِّباً لبعض ولد جعفر بن محمّد عليهما السلام-، قال: قال: لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله، دخل المدينة رجل من ولد داود على دين اليهوديّة، فرأى السِّكك خالية، فقال لبعض أهل المدينة: ما حالكم؟ فقيل له: توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الداوديّ: أمَا أنّه توفّي اليوم الذي هو في كتابنا، ثمّ قال: فأين النّاس؟ فقيل له: في المسجد، فأتى المسجد، فإذا أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرّحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح، والنّاس قدْ غصَّ المسجد بهم، فقال: أوسعوا حتّى أدخل، وأرشدوني إلى الذي خَلَفَه نبيّكم، فأرشدوه إلى أبي بكر، فقال له: إنّي مِن ولد داود على دين اليهوديّة، وقدْ جئتُ لأسأل عن أربعة أحرف، فإنْ خبَّرتَ بها أسلمتُ. فقالوا له: انتظر قليلاً، وأقبل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام من بعض أبواب المسجد، فقالوا له: عليك بالفتى، فقام إليه، فلمّا دنا منه، قال له: أنتَ عليّ بن أبي طالبٍ، فقال له عليٌّ: أنت فلان بن فلان بن داود؟ قال: نعم، فأخذ عليّ يده، وجاء به إلى أبي بكر، فقال له اليهوديّ: إنّي سألتُ هؤلاء عن أربعة أحرف، فأرشدوني إليك لأسألك، قال: إسأل، قال: ما أوّلُ حرف كلَّم الله به نبيّكم لمّا أُسري به ورجع من عند ربّه؟ وخبِّرني عن الملك الذي زحم نبيّكم ولم يسلِّم عليه؟ وخبِّرني عن الأربعة الذين كَشَفَ عنهم مالك طبقاً من النّار، وكلَّموا نبيّكم؟ وخبِّرني عن منبر نبيّكم أيّ موضعٍ هو من الجنّة؟ قال عليٌّ عليه السلام: أوّل ما كلَّم الله به نبيّنا صلى الله عليه وآله قول

الله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ}، قال: ليس هذا أردتُ، قال: فقول رسول الله: {والمؤمِنُوْنَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ}، قال: ليس هذا أردتُ، قال: اترك الأمر مستوراً، قال: لَتخبرني، أو لستَ أنت هو؟ فقال: أمّا إذا أبيتَ، فإنّ رسول اللهﷺ لما رجع من عند ربّه، والحجب تُرفع له قبل أنْ يصير إلى موضع جبرئيل، ناداه مَلك: يا أحمد، قال: لبّيك، قال: إنّ الله يقرأ عليك السّلام، ويقول لك: اقرأ على السّيّد الوليّ منّا السّلام، فقال رسول الله: مَن السّيِّد الولي؟ فقال الملك: عليُّ بن أبي طالبٍ، قال اليهوديّ: صدقتَ، والله، إنّي لأجد ذلك في كتاب أبي، فقال عليٌّعليه السلام: أمّا الملك الذي زحم رسول اللهﷺ، فمَلَك الموت جاء به من عند جبّارٍ من أهل الدُّنيا قدْ تكلَّم بكلام عظيم، فغضب الله، فزحم رسول الله ولم يعرفه، فقال جبرئيل: يا ملك الموت، هذا رسول الله أحمد، حبيب اللهﷺ، فرجع إليه، فلصق به واعتذر، وقال: يا رسول الله، إنّي أتيتُ ملكاً جبّاراً قدْ تكلَّم بكلام عظيم، فغضبتُ، ولم أعرفك، فعذره. وأمّا الأربعة الذين كشف عنهم مالك طبقاً من النّار، فإنّ رسول اللهﷺ مرّ بمالك ولم يضحك منذ خُلق قطّ، فقال له جبرئيل: يا مالك، هذا نبيّ الرَّحمة محمَّد، فتبسَّم في وجهه، ولم يتبسَّم لأحدٍ غيره، فقال رسول اللهﷺ: مُره أنْ يكشف طبقاً من النّار، فكشف طبقاً، فإذا قابيل ونمرود وفرعون وهامان، فقالوا: يا محمَّد، اسأل ربَّك أنْ يردَّنا إلى دار الدُّنيا حتّى نعمل صالحاً، فغضب جبرئيل، فقام بريشة من ريش جناحه، فردَّ عليهم طبق النّار، وأمّا منبر رسول اللهﷺ، فإنّ مسكن رسول اللهﷺ جنّة عدن، وهي جنّة خلقها الله بيده، ومعه فيها اثنا عشر وصيّاً، وفوقه قبّة، يُقال لها: قبّة الرّضوان، وفوق قبّة الرّضوان منزل، يُقال له: الوسيلة، وليس في الجنّة منزل يُشبهه، وهو منبر رسول اللهﷺ، قال اليهوديُّ: صدقتَ والله، إنّه لفي كتاب أبي داود يتوارثونه واحد بعد واحدٍ، حتّى صار إليَّ، ثمّ أخرج كتاباً فيه ما ذكره مسطوراً بخطّ داود، ثمّ قال: مُدَّ يدك، فأنا أشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمَّداً رسول الله، وأنّه الذي بشَّر به موسىعليه السلام، وأشهدُ أنّك عالم هذه الأمّة ووصيُّ رسول الله، قال: فعلَّمه أمير المؤمنين عليه السلام شرائع الدِّين»[2].

٢/ ما روي في الإرشاد، عن «إسماعيل بن عليّ العمِّيّ، عن نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام، قال: انقطع شسع نعل رسول اللهﷺ، فدفعها إلى عليٍّعليه السلام يصلحها، ثمّ مشى في نعل واحدة غلوة–أو نحوها–، وأقبل على أصحابه، فقال: إنَّ منكم مَن يقاتل على التّأويل، كما (قاتل معي) على التَّنزيل، فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟ قال: لا، فأمسك القوم، ونظر بعضم إلى بعض، فقال رسول اللهﷺ: لكنّه خاصف النّعل–وأومأ إلى عليِّ بن أبي طالبعليه السلام–، وإنّه المقاتل على التّأويل إذا تُركتْ سُنَّتي ونُبذتْ، وحُرِّف كتابُ الله، وتكلَّم في الدِّين مَن ليس له ذلك، فيُقاتلهم عليٌّعليه السلام على إحياء دين اللهعز»[3].

الهوامش

١- رجال النّجاشيّ: ٦٣/٣٠، والفهرست: ٣٣/٤٧، ورجال الشّيخ: ٦٠٠١/٤١٥، ولسان الميزان: ١/٤٢٣/ ١٣١٧.

٢- الغيبة: ١٠٠-١٠٣/ح٣٠.

٣- الإرشاد: ١/١٢٣.



مَنهَج الشّيخ عبد الهادي الفَضْلي في القراءات القرآنيّة

د. خَليل خَلف بشير

الشيخُ، الدكتورُ عبد الهادي الفضليُّ، أحدُ المفكّرين اللغويّين البارزين في العالم العربيّ، الذين خدموا لغةَ القرآن الكريمِ لمجمل علومها؛ فقد ألّفَ في النّحو، والصّرف، والبلاغة، والعَروض، وكذا في القراءات، وكانت له رؤى وآراءٌ في القراءاتِ القرآنيّةِ نثرَها في كتبه اللغويّة والنحويّة، وفي أطروحته عن قراءة ابن كثير، وفي هذا المقال نسلّط الضوءَ على منهجه وآرائِه ورؤاه في القراءات القرآنيّة.

يرى العلّامةُ الشيخُ الدكتور عبد الهادي الفضليّ، أن للقراءات دخلاً مباشراً وعنصراً أساساً في الدرس الصرفيّ والنحويّ، وفي وضع المعجم اللغويّ، وكذا يرى وجوب ((تتبّع آثارِ القراءاتِ في الدراسات النحويّة، ودراسة القراءات نحويّاً، وما يمكن أن يُفاد منها في مجال تطوير النّحو الى مستوى أعلى يثري لغتَنا، ويغنينا عن التماس ما قد ينأى بنا عن أصالتها)).

وفي قوله هذا عودةٌ الى أساس وضع النحو الذي وُضع لغاية دينية، وهي حفظُ القرآن الكريم من اللَّحْن، والعلّامةُ الفضليُّ يرى ضرورة ألّا يبتعد النحوُ عن غايته التي وُضع لها.

ويدرس العلّامة الفضليُّ القراءةَ القرآنيّةَ على أساس أنّها مادّة يُستشهد بها في الدرس النحويّ.

ويذهب العلّامة الفضليُّ الى أنّ العلاقةَ بين القراءاتِ

القرآنيّةِ والدراساتِ النحويةِ قد مرّت بأربعِ مراحلَ، هي:

١- التداخلُ بينهما

إنّ التداخلَ بين القراءة والنّحو بسبب مشاركة أغلب النّحاة في القراءة القرآنيّة.

٢- التمهيدُ لانفصالهما

وهي سببُ مبدأ القياسِ في دراسة النصّ العربيّ، الذي أدخله عبد الله بن أبي إسحق، وعيسى بن عمر، ويرجع منشأ القياس الى تأثّر العَرَب بالحضارات الأجنبيّة الوافدة، التي رأوا فيها أنّها تعتمدُ في دراسة النّصوص على الفكر أكثر من النقل.

٣- انفصالهما

وهي مرحلةٌ كانت على يد أبي عمرو بن العلاء، وبعد الانفصال، اعتمد النّحو منهجاً مغايراً عن منهج القراءَة، وهو:

أ-الاعتماد على رواية اللغة وشعرِ العَرَب ونثرِهم.

ب- نقدُ سند الرواية.

ت- تسويغُ نقد متن الرواية.

ث- اتّباعُ أصول المناهج العقليّة في وضع القاعدة.

ج- شمول دراسة النصّ العربيّ (ليس فقط القرآن).

٤- الاستشهاد: وهي مرحلة تمرُّ بخمسةِ أدوارٍ، هي:

أ- دور سيبويه: يلاحظ في كتاب سيبويه أنّه يعتمد على الاستشهاد بالشّعر أكثر من القراءات؛ وذلك بسبب اختلاف المنهج بين القراءة والنّحو.

وثَمَّ تطوّرٌ آخرُ حدث في هذه المرحلة، وهو تقديم القاعدة النحويّة على القراءة عند تعارضهما، والموازنة بينهما.

ودورُ مدرسة الكوفة: ودور الكوفيين مخالف للبصريّين، وهو الأخذ بكلّ القراءات حتّى مع معارضتها للقاعدة النحويّة.

ودورُ ما بعد المذهَبَين.

ودور ابن مالك: ودوره يلخَّصُ بالقول: ليس القَصدُ تصحيحَ القراءة بالعربيّة، بل تصحيحَ العربيّة بالقراءة.

ودورُ المحدثين: يختار العلّامةُ الفضليُّ رأي الدكتور أمين علي السيّد، وهو أنّ أعلى الشواهد درجةً ما كان من القرآن الكريم، ثمّ الحديثُ، ثمّ كلامُ العرب شعراً ونثراً.

ويرى أنّ القراءات القرآنيّة جاءت متواترة، وهي متّصلة بالنبيّ ﷺ؛ لضبط النصّ القرآنيّ حتّى القرن الأوّل الهجريّ، الى أن جاءت علاماتُ الإعراب التي وضعها أبو الأسود الدؤلي.

ويذهب العلّامةُ الفضليُّ الى أنّ الموقف الطبيعيّ الذي ينبغي أن يُسار عليه في دراسة النحو وتطويره هو الآتي:

١-أن يُرجَع الى القراءات مَصدراً أوّلاً.

٢-أن تُعتمد القراءاتُ المتواترةُ أساساً في التأصيل والتقعيد، وكذلك الشاذّةُ التي جاءت وفق لهجات شائعة.

٣-القراءات الشاذّة التي جاءت وفق لهجة قليلةِ الاستعمالِ تكون دليلاً لشواذّ القواعد.

ويعدُّ العلامةُ الفضليُّ القراءةَ القرآنيّةَ وَجهاً مهماً من وجوه اللغة العربيّة، وعليه، فإنّ القراءةَ القرآنيّةَ تنأى بنا عن إخضاع اللغة العربيّة لمقاييس الفلسفة النحويّة العقليّةِ، التي سارت في دراستها بعيداً عن النهج الوصفيّ، ويرجّحُ القراءةَ القرآنيّةَ على الرأي النحويّ إذا تعارضا ولم يمكن التوافقُ بينهما.



مُراسَلَة الجنس الآخر، ومراحلها

أبو محمّد الشَّطْري

رُبَّما نغفلُ عن أنَّ المحادثة مع الجنس الآخر تَسير بشكل تدريجيّ إلى أشياء غير مَقصودة، بل ومرفوضة لنا.

ومنشأُ غفلتنا - أحياناً - هو ثقتُنا بأنفسنا بأنَّنا لا نقعُ في شِراك الآخر، أو شِراك الشيطان، وأنَّ حديثَنا مع الجنس المختلف إنما هو مجرّد حديث في ضمن الحدود الضروريّة.

وفي الحقيقة، الثقةُ بالنفس بهذا المستوى أمرٌ جيّد، لكنَّهُ لا يمكن أن يشكّل للإنسان حَصانةً أو عِصمةً من الوقوع في المحذور لا سامح الله تعالى.

وهنا، نريدُ أن نُبيِّن للقارئ مراحل مُهمّة عليه أن يحذرَها، ويرى نفسَه في أيّ واحدة منها؛ ليتّخذَ الموقف المناسبَ لها، وهي:

الأولى: مرحلة الإعجاب

حينما تطّلعُ على كمالات المُقابل، تُعجب بها، ويبقى ذلك بحدّ الإعجاب، وهو أمرٌ لا مانع منه؛ إذ من طبع النفس الإنسانيّة أن تنفعل وتتفاعل مع الكمال.

الثانية: الانجذاب

بعد الإعجاب قد تتطوّر الحالة الإحساسيّة اتِّجاه الآخر، وتتحوّل إلى الانجذاب نحوه.

وتظهرُ هذه المرحلة حينما تجدُ من نفسك الرغبةَ في الاطّلاع على خصوصيّات الآخر، وعلى شؤونه الشخصيّة، والأُسريّة، والمعيشيّة، وما إلى ذلك، وكذا تجد من نفسك الرغبة في أن تُعرّفَه على خصوصيّاتك تلك.

وهنا ينبغي أن تلتفت لنفسك؛ لأنَّك بدأتَ أولى مراحل الوقوع في شِراك المقابل، وعليكَ أن تُقلّل من مراسلته الى حدّ الضرورة القصوى - إن كانت هناك ضرورة - وإلّا، فيلزم قطعُ العِلاقة به؛ لأنَّها بدأت تخرج شيئاً فشيئاً الى دائرة إبليس.

الثالثة: التعلُّق.

وهي مرحلةُ الدخول في حبّ المقابل بشكل صريح، وبدأتَ تسمحُ للشيطان في أن يُسدّد ضربةً قاسيةً لك ولدينك، وهو من سيختار وقتَها وشكلَها.

هنا، لا تمتلك حَلّاً سوى غلقَ هذا الباب كُلّياً، وإلّا، فإنَّك إن أبقيتَ عليه مفتوحاً بإرادتك؛ فإنَّهُ لا يكون بيدك غلقُه.



خاطِرَة

أنا حقلٌ يبابٌ
وأنتَ فلّاحُ هذه الأرض
حينما تمشي تحتَ المَطر
أستطيعُ الشعورَ بك
تتسلّلُ الى داخلي
كضوءِ القَمَر
وبكلماتِكَ الصّادقة
أنت أجملُ أمانيّي، بل أكثر
هناك أشياءُ أنا لا أفهمُها
لا أكترثُ بها
بعُمقِ معرفَتي
وصَلاتي الليليّة
في سُجودي
ورُكوعي
أعشق كلماتِك في وَقتِ السَّحَر
أتوقُ لسَماعِها
لا أريدُ أن نبقى كما نَحن
إقتربْ أكثر

محمّد البَصريّ

قصّة قصيرة



على دكّةِ العِشقِ الأبديّ

د. صباح العبادي

هناك على ضفاف شطّ العَرَب، وفي قريتي الصغيرة، قرب نهر صغير رسمته سواعدُ الرجال في غفلة من الزمن، فعُدّ من تفرّعات النهر الكبير، شمَخَت جدرانُ بيت صغير في وَسط بساتين النخيل، بيتٍ من بيوت الوجوه البريئةِ، والقلوبِ الطيّبة، من بيوت بصرتِنا الباسمة، كان هذا البيتُ يتطاولُ فخراً محاكياً هامات النخيل، وهو يحتضن بين أحشائه زوجَين يحلُمان بحياة سعيدة، كغيرهما من أبناء تلك القرية الحالمةِ، التي لم يكن حلمُها ضَخماً ولا مستحيلاً، ولكنّها كغيرها من القرى الغافية على أمل أن تجد من يوقظُها لتواصل مشوار الحياة، تريد أن تكبر مع كبر الوطن، وهي تضمُّ عاشقين ضُربت بعشقهما وحبهما الأمثال، وصارا أحدوثةَ العِشقِ القرويّ، ذاك العشقُ البريءُ المرتبطُ بجذور النخيل، والمتلوّن بلون سمار الأرض، لم يكن عشقاً للّهو أو السّمر، ولا لقضاء الساعات في ساحات المتاهات. قصّة عشقٍ ليست بالغريبة، ولكنّها اكتسبت احتراماً من الجميع، حتّى من هؤلاء الذين يعيشون في مخلّفات الجهل العرفيّ، ذلك الجهل الذي يمنع أن تلتقيَ القلوبُ في طهر وعفّة ونقاء، فبصمةُ الحبّ هذه تركت أثرها في معالم المكان؛ لأنّها كانت صادقة بصدق النيّات، وواضحة بوضوح الكلمات.

عاش الحبيبان معا في بيت جدّهما، ابنةُ الابن(مريم)

وابنُ البنت (سعيد)، جاء بهما جدُّهما صغاراً ليملأ عليه الفراغَ الذي صنعه الموت؛ إذ سرق منه شريكته في الحياة، وعاشا معه في ذلك البيت الصغير، يذهبان الى المدرسة معاً، يعودان معاً، يكتبان دروسَهما، يقرءان أناشيدَهما، يفرحان ويبكيان معاً، كَبُرا وكبُرت أحلامُهما، صارا كتلةً من العشق الإنسانيّ، فلم يذوقا طعم الفراق ولا يرغبان فيه، دُوّنت قصَّتُهما على جدران البيت، وفي وسط غُرَفه، وعلى سوق النخيل وأغصان الشجر، وعلى ضفاف ذلك النهر الصغير، الذي تنتهي عنده تنهّداتهما، فصارت يقرأها البعيد والقريب، ذاع بين الناس سرُّهما المُعلن، ولكنّهما كانا واضحين بريئين لا يخشيان من شيء؛ لأنّهما لم يفعلا ذلك بالخفاء وإنّما في وضوح النهار، و في مرأى ومسمع من الأهل والأصدقاء، وبعد أيّام، أُعلن بينهما ذلك الارتباط المقدّس، وتمّت مراسيمُه في محراب المودّة، وانفجرت ينابيعُ الحبّ فرحاً، وزادت جمرات العشق توقُّدا، وأُسكتت الظنونُ الخبيثةُ، وأُخرست الألسنُ العفنة. لقد تحقّق الحلمُ الكبيرُ، واجتمعت الأرواحُ المطمئنّة تحت غطاء الشرع، وصار العشق مُعلناً، والحبُّ صريحاً.

كان سعيدٌ قد أنهى دراسته المتوسّطةَ والإعداديّةَ، ودخل كلّيّةَ التربية، وصار مدرّسا للّغة العربيّة، طامحاً أن يخدم وطنَه عن طريق وظيفة التعليم الشريفة، ولكنَّ أحلامه كأحلام أقرانه ظلّت حُلماً ينشده في غياهب المجهول، لم يكن أمامه إلّا أن يدافع عن ألوان أرضه مُزارعاً، فلم يحصل على حلمه الوظيفيّ، لكنّه مع كلّ ذلك لم يشتك يوماً من هذا الوضع، ولم يتبرَّم، وهو يرى سنين العمر تجري مسرعة نحو النهاية، وإنّما ازدادَ عِشقاً لأرضه، ووفاءً لجدّه، وحبّاً لزوجته مريم، التى اكتفت بالدراسة المتوسّطة، فهي شأنُها شأنُ قريناتها من بنات القرية حسبُها أنّها تقرأ وتكتب، وكان حلمها المعرفيُّ يكتفي في فهم القصائد التي ينشدها لها حبيبُها، كانا يقرءان الشعر نغماً، ويتذوّقانه طعاماً للروح، مرّ على زواجهما ثلاثٌ من السنين، ولكنّهما لم يحصدا ثمرة هذا الزواج، فلم تتفتّح مياسم أزهارهما بعدُ، وصار حلمهما الجديد أن يأتي من يزيدُ اللُّحمة بينهما، وأن يُتوَّج حبُّهما بفرحة طفل صغير، يملأ عليهما المكان. ولم يكن أمامهما إلّا الصبر، واعتمدا التوكُّلَ كفيلاً بهذا الحلم، وهما على يقين بأنّه سوف يأتي أكلُهما ولو بعد حين، وحينها تزدان الحياة بهجة وسرورا.

وفي يوم من أيّام العمر الدؤوب، ولياليه المتسارعة، شاهدت مريمُ علاماتٍ جديدةً في وجه حبيبها، لم تكن قد عهدتها من قبل، أصبحت ابتسامتُه الجميلةُ باهتةً، يغرق في خيال بعيد، ربّما لا يجيبها عن أسئلتها التي بدأت تتزايد إلّا بعد مدّة من الصمت، وينتفض مرتعشاً كأنّه انتبه من نوم عميق. لم تُعْجِب مريمَ حالةُ زوجها وحبيبها، دخل في قلبها شيء من الشكّ، وذهب خيالها بها في متهاهات الظنون، حاولت أن تستفهم منه كثيراً، ولكن، دون جدوى، وزاد شكُّها، وألحّت في السؤال. اضطرّ سعيدٌ أن يجيبَ عن بعض أسئلتها، ولكنّه كان مشفقاً عليها، لم تكن أجوبتُه واضحةً، ولم تكن شافية، خافت من شيء يداخلها، طلبت منه طلباً أسمته الأخير، وإلّا، فهي مضطرّة لمغادرة الدار بلا رجعة، وقد استمرّ الحال معهما سبعةَ أيّام، كانت ثقيلةً، تغيّرت بعضُ ملامح الحياة. فلمّا رأى سعيدٌ إصرارَها على الجواب، قال لها بعد أن شَبَكَ أصابعَه بأصابعها : تعالَي معي يا حبيبَتي، نظرت إليه وقد رنّقت في عينيها بقايا دمعةٍ خرْساء، فرحت فَرحاً يلابسُه الأمل وتعصفُ به الشكوك، استفهمت: إلى أين؟ لم يتكلّم معها، ولكنّه أخذ يجرّها بلطف نحوه، ومَشَيا في طريقهما المعهود إذ تقودهما أقدامُهما باللّاشعور الى حيث دكّة العِشق، هناك على ضفّة النهر الحبيب، وهي بين الشوق الى الجواب والذكريات القديمة، أزال عنها الفرحُ بعضَ ظنونها، وغابت عنها بعضُ شكوكها، قرأ لها سعيدٌ قصيدة من ديوان السياب (منزل الأقنان):

رَحَلَ النّهار
ها إنّه انطفأت ذبالتُه على أُفقٍ توهّج دون نار
وجلسْتِ تنتظرين عودةَ سِندبادَ من السّفار
والبحرُ يصرخ من ورائكِ بالعواصفِ والرعود
هو لن يعود
أَوَ ما علمتِ بأنّه أَسَرَته آلهةُ البِحار
في قلعةٍ سوداءَ في جُزُرٍ من الدم والمحار
هو لن يعود
رَحَلَ النّهار
فلترْحَلي هو لن يَعود
.....

نظرَتْ إليه وهو يردّدُ بصوت متحشرج، رَحَلَ النّهارُ بنَغَم فيه من اللوعة، لفتَ انتباهَها الضغطُ على عبارة (فلترحلي، هو لن يعود) بشكل عجيب، ونبر حرف الدال المتقلقل، ليكون الصوتُ منذراً بالغياب، لم تجد إجابة لهذا النّبر الغريب إلّا بنظرة عشقٍ ذابلةٍ تُنذر بالألم والحَسرة، أخذ يربّتُ على كتفها وهو يردد أبياتاً جديدةً من ديوان السيّاب، وكسرَ انسيابَ الوزن وتركَ القافيةَ المبعثرة، وانتقلَ الى أبيات من شعر المتنبي:

أَرَقٌ عَلى أَرَقٍ وَمِثلِيَ يَأرَقُ
وَجَوىً يَزيدُ وَعَبرَةٌ تَتَرَقرَقُ
وَعَذَلتُ أَهلَ العِشقِ حَتّى ذُقتُهُ
فَعَجِبتُ كَيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ؟!

لقد عشقتُك يا مجنونةُ، لماذا هذا الشكّ والارتياب؟! كأنّه أراد أن يبعدها عن دائرة الخوف الذي خيّمَ على المكان، وينقلها الى عالم الذكريات، استسلمت لحنانه ولذارعيه الباسمتين، وجلسا على دكّتهما المعهودة، عادت لهما الذكرياتُ الجميلةُ، بدأت تعيد عليه أحاديث الماضي وهمساتِ السّنين، هذه دكّتُنا القديمة، عدنا إليها بعد زمن من الفراق، لطالما قرأتُكَ هنا وقرأتَني. ومن منبرها اسمعتَني قصائدَك التي تروي بها شَغَفي وتشبعُ بها شوقك، وظلّت تحكي وتحكي حتّى اكتست قبّةُ السماء باللون الداكن، وجاء الغروبُ وإحساس الحبّ جرّهما الى حيث السَّكَن والطمأنينة، أحسّت مريمُ من كثرة الكلام عن الفراق والبعد الذي يردّده سعيدٌ بأنَّ شيئاً يخبّئه القدر، ولكنّها لم ترد أن تفسد ذكرياتِ العِشق القديم.

ناما ليلتَهما على المعهود، ولكن بعد سَهَر جميل وهدوءٍ صاخبٍ لا يكسره إلّا نحنحاتُ جدّهما في وَسط الدار، الذي كان يؤثر النوم في ساحة البيت على النوم تحت هواء الطبيعة، وغطّت مريمُ في نوم عميق، لم تنتبه منه إلّا على صوت جدّها، وهو يوقظها لكي تحضّر له طعامَ الإفطار، انتبهت من نومتها تقلّب طرفَها في وسط الدار، لقد ذهب الوقتُ، لماذا لم أنهض لصلاة الفجر؟! ولماذا لم يوقظْها سعيدٌ كعادته؟! ولكنْ، زادت حيرتُها عندما لم تجد سعيداً في المكان، ظنّت بأنّه ذهب للحقل ليكمل بعضَ أعماله، خرجت من باب الدار تنظر الى بستانهم القريبِ لعلّها تراه، فلم يكن له أثر، عادت الى جدّها تسأله، فلم تجد عنده جواباً، بدأت تشعر بشعور غريب لم تعهده من قبل، لجأت الى النقّال تستفهم منه، ولكنَّ جهازَ سعيدٍ كان مُغلقاً،أكملت إفطار جدّها وهي بينَ الوعي واللاوعي، أعادت شريطَ أحداث الأسبوع الماضي، وأخذت تستنطقُ ذاكرتها وتعيدُ ما كان يحدث، وتصرّفات سعيد الغريبة، إعتصرت فكرَها لتجدَ جواباً، فلم تجدْ، بعد أن أكملت واجباتها المنزليّةَ خرجَت من الدار مسرعةً، مرّت بالبستان ونظرُها يجول في أطرافه المترامية، فلمّا يئست من وجود علامات لزوجها، مالت منعطفة الى حيثُ طريق القرية، واتّجهت نحوَ بيت صديقِ سعيدٍ القريبِ والوفيّ والمحبّب عنده، إنّه أحمد، ذلك الشابّ الطيّب المتديّن، الذي لا يبتعد عنه سعيدٌ كثيراً، كانت تمشي بثقلٍ، لم يكن من عادتها أن تذهب الى بيت أحمد لوحدها، ولكنَّ الحدثَ أكبرُ من أن تنتظر، طَرَقَت البابَ بهدوء، سمعت صوتاً يستفهم عن الطارق، خرجت كلماتُها متلعثمة: أنا مريم، استقبلتها أمُّ أحمد، رأت عليها الارتباكَ والحيرةَ، عَرَفت في محيّاها أسئلةً عديدةً، دعتها

للدخول، فأبَت، قالت لها: كأنّك تفتّشين عن سعيد؟ أجابت بعينيها صامتة، وحالها تستفهم: من أين عَرَفَت؟ ولكنْ، كَسَرَ صمتَها صوت أمّ أحمد: لقد أوصاني بك. ماذا؟! أوصاك بي؟! لم تتمالك نفسَها، خارت قواها، أسعفتها أمّ أحمدَ بالإجابة: إنّ سعيداً وأحمدَ سافرا الى بغداد، يفتّشان عن عمل. كان بودها أنْ تصدّق، ولكن، لم يدخل الاطمئنانُ الى قلبها، عاودت الاتّصالَ به، ولكن، ما زال الجهازُ مغلقاً، إنّه أمرٌ لم تألفْه من قبلُ، لم يكن سعيدٌ قد عوّدها على أن يخرج من الدار ولم يخبرها، صارت الدنيا مظلمةً أمام ناظرَيها، أسرعَت تخبر جدَّها، لم يكن يعلم هو الآخر، ولكنّه طلبَ منها الهدوءَ، ودعا له بالتوفيق، وبأن يحصل على أمنياته، مرّت عليها الساعاتُ ثقيلةً، إزدادت حيرتُها من إغلاق الهاتف، وجاءَ الليلُ ولم تُدرك حجمَ الفراق، إنّها الليلةُ الوحيدةُ التي تفارقُ زوجَها وهي لا تعلم مكانه، مرّت الليالي ثقيلةً، وما زال الهاتفُ مغلقاً، ولم يعد سعيدٌ، كلّ يوم تذهب لتسأل من أمّ أحمدَ عن الأخبار، ولكن، لا شيءَ جديداً؛ فإنّ هاتف أحمدَ كان مغلقاً أيضاً، يا إلهي، مالذي يحدث؟ ماذا جرى لسعيد ؟ يفارقني كلّ هذه الأيّام ولم يحاول أن يعرف أخباري ؟! وبعد مضيّ أسبوع، وفي ساعات الفجر وهي متوجّهة الى بارئها تدعو لسعيدٍ ولنفسِها بالصّبر والثبات على فراقه، سمعت صوتَ الهاتفِ يعلنُ بوصول رسالة، هاتفُها لم يكن فيه من الأرقامُ إلّا القليل، إنّه رقم جديد، أسرع قلبُها قبل يديها الى فتح الرسالة : السلام عليكم، أنا أحمد، أخبرُكم عن أخي وصديقي العزيز سعيد، لقد كان بطلاً وشجاعاً، لقد لبّى نداء المرجعيّة بفتوى الوجوب الكفائيّ في جهاد طُغمة الظّلام،هنيئاً لكم فوزَ سعيدٍ بالشّهادة.

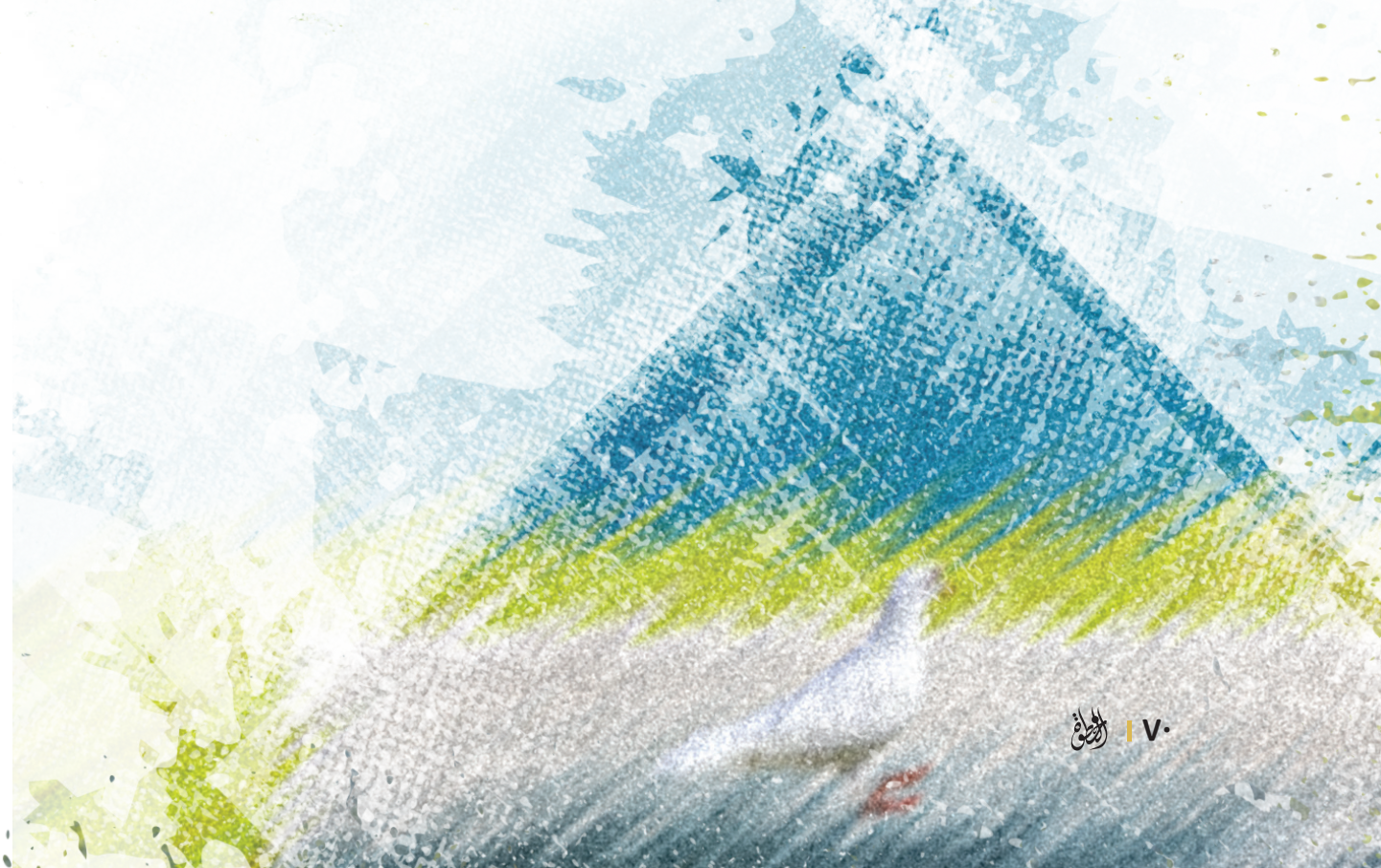
صاعقةٌ نزلت على قلبها الصغيرِ، كان الخبرُ أكبرَ من المكان والزّمان، فقدت وعيَها، لم تدر اينَ هي، غابت عنها روحُها، استسلمَت لرياح اليأس، لم تستوعب الخَطْبَ، أرادت أن تتكلّم مع أحدهم، وجدت أنّ الحروفَ لا تقوى على التكوين، انعقدَ لسانُها عن الكلام، اختفى صوتُها تماماً،غابت عن الوجود، ظنَّ الجميعُ أنّها فقدت عقلَها، فلم تكلّم أحداً، ولم تنطق بكلمة.

وبعد أن انتهت أيّامُ العَزاء، وغادرَ الجميعُ فلم يبقَ معها إلّا بعضُ نسوةٍ من أقاربها، وجدّها المسكين الذي لم يفتُر عن البكاء،ولكنّه يعلّل نفسَه بذكر : إنَّا لله وإنا إليه راجعون،لا حول ولا قوّة إلّا باللهِ العظيم، وينظر إليها بعين العطفِ والرحمةِ، وقد صامَت عن الطعام والكلام، وغابَت عنها نظارتُها، تغيّرت صورتُها تماماً،يكاد الرائي لم يعرف مَن هي.

وبعد أن صدّقَت ما جرى، ويئِسَت من تكذيب الخَبر، عادت إليها ذكرياتُها، انسلَّت من بين أشجار النخيل تدفعُ عن وجهها بعضَ سُعَيفاتِه المتدلّية يشدّها شوقٌ عجيبٌ الى ضفّة النهر، يسبقُها قلبُها الى دكّة العشقِ الأبديّ، ولكنّها ما لبثت أن أبطأت حركةَ أقدامها؛ لأنّها تعرفُ أنَّ المكان لا يبدو بخير، تعرفُ أنَّ العشق لم يعد سالماً، ولم تُبنَ لها أحلامٌ من جديد، وبين ذكريات الماضي وأحلام المستقبل وجدَت نفسَها تهالكُ على دكّتها المعهودة، نظرَت بعينَيها المتورّمتين من كثرة البكاء الى مياه النهر الصغير، حركتُه البطيئةُ زادَت من وَجدِها، وأوقدَت جمراتِ فؤادِها، أنطقَها صمتُ المكان لتكسرَ ذلك السّكونَ المطبقَ، فعلى غير العادة اختفى كلُّ صوت من حولها، لطالما كان يؤنسها صوتُ خريرِ النهر، وزقزقةِ عصافيره، وهديلِ الحَمام، ولكنْ، كلُّ شيء قد سَكَتَ، فارادت أن تكسر السّكونَ بأنّاتها، وتحرّكَ المكانَ بآهاتها، خرجت الحروفُ متلعثمةً، والصوتُ اختلطَ بحشرجةِ البكاءِ، قائلة: إيهٍ يانهرُ، فقد عدتُ إليك وحيدةً، لقد كنتَ ثالثَنا، تشاركنا أحلامَنا، وتفرحُ معنا، لقد كنتُ أرى فيك ابتساماتِنا، وتزرعُ فيَّ الأملَ بالحياة، مالي أراكَ وقد علاكَ الحزنُ؟! لماذا هدأَت أمواجُك الصغيرةُ؟ لماذا لا تتلوّنُ بلون الربيع؟ هل سمعتَ بما جرى؟ هل تريد أن تشاركَني أحزاني ؟ أراك وفيّاً، ألا تسألني: أين ثالثُنا؟ هل نسيتَه؟ اتذكرُ يانهرُ

عندما كنّا نجلس في هذا المكان صغاراً؟ وكنّا نغنّي أغنيتَنا المعهودةَ، لا أظنّك تنسى عندما تحتضنُ مياهُك الدافئةُ أجسامَنا الصغيرةَ،وتذكر عندما كبرنا ونحن نمدُّ أرجلَنا في جرفك الهاديء؟ لقد كنتَ حينَها تجري مُسرعاً، نخشاكَ لأنّك تريد أن تؤدّيَ واجباتِك، حينَها كبُرنا يانهرُ وأنتَ كما أنتَ في كلّ يومٍ تعطينا منك أحلاماً، كبُرنا وكبُرَت قصائدُنا معنا، صرنا نردّد أناشيد الحبّ؛ لأنّنا كنّا نشعر بالسعادة، ونحلّق مع العصافير، ونشعر بالدفء، لا تنسَ يانهرُ، لم يبق لي من الدنيا إلّا أنتَ، أرجوك أجبني: هل تعيدُ معي الذكرياتِ الجميلةَ؟ وأخذت تردّد بصوتها الحزين: نعم، من أين لك بالجواب؟! أنت الآخرُ صرتَ هامداً، أنت الآخرُ تريد أن تتركني وحيدة،لا ألومُك، أقرأ في هدوئك العَتَبَ، لا تلمْني، لقد فارقتك كثيراً، أتعلم لماذا؟ نعم، أنا أدري أنّك لا تعلمُ، ولو كنتَ تعلمُ لشاركتَني أحزاني، مهلاً، سأخبرك، آهٍ، آه، لا أطيقُ الكلامَ، ولكن، رُغماً عنّي سأخبرُك، كنتُ أودّعُه، صاحبَنا،، ثالثَنا،، أتذكرُه؟ إنّه سعيدٌ، لم يأتِ منذ ودّعناكَ سويّة، سعيدٌ الذي كان يجلسُ بجانبي، لقد ثوى عنّا بعيداً، هناك في جوف صحراء النّجف، يا نهرُ، لقد ماتَ شهيداً، في ذلك اليوم الذي لبّى فيه نداء السَّعادة الأبديّة، لقد ذهب وهو بين عشقَين: عشقِنا أنا وأنتَ، وعشقٍ آخرَ حطّمَ كلَّ قيودِ الارتباط، تركنا سعيدٌ ليَحيى سَعيدا هناك في جنّات عَدن عند مليك مقتدر.

وظلّت تردّد هذه العباراتِ الى أن هدأَ صوتُها، وذاب أنينُها ليزدادَ الصمتُ صمتاً، ويبقى الهدوء مخيّماً، ولم ينكسر هذا الصمتُ إلّا بصيحات النسوة اللواتي افتقدنها، وبدأن بالتفتيش عنها، جِئنَ الى المكان المعهود، إنّها دكّةُ العشق المسمّى باسميهما، وَجدنَها وقد غابَ عنها وعيُها بجنب النهر، أسرعْنَ بها الى الدار، ومن هناك الى المشفى في المدينة القريبة، الجميعُ كان يسألُ عن حالها، وينتظرُ الإجابةَ، وقفت بعضُ النّسوة في طابور الانتظار، لم يكن معها من قريباتها إلّا زوجةُ عمّها، وما هي إلّا برهةٌ من الزمن، فينبلج صوتٌ رخيمٌ يبرقُ في ظلمةِ الصّمت المطبقِ من الحُزن ؛ ليبشِّرَ الحاضرين بثمرة العشق القرويّ، إنّها نطفةٌ علقت بين أحشاء مريم لتنذر بخلود اسم سعيدٍ، فأمتلأ المكانُ بصَخَبِ نشيجِ بكاءِ الفَرَح المختلطِ بدموع الحزن، وصوت المهدّئين يعلو أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.



قصيدة

ذِكراكَ تبقى إلى ما لا نهايات

(قصيدة في أمير المؤمنين) لسماحة العَلَم، الحجّةِ، الشيخ محمّد جواد السّهلانيّ، يمدحُ الإمامَ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، أُلقيت في الحفل السنويّ الكَبير، في مسجده بذكرى استشهاد الإمام عام ١٩٦٠م :

ذكراكَ تبقى إلى ما لا نهاياتِ
وذكرُ غيرِك يفنى بعدَ ساعاتِ

ذكراكَ مولايَ آياتٌ مخلَّدةٌ
هي البطولةُ قد صِيغت بآياتِ

ذكراكَ عطّرَت الدنيا بأجمعِها
فشعَّ من ذكرِها نورُ الهداياتِ

ما إنْ ذُكرتَ ففيكَ العدلُ نذكرُه
يا قاضيَ العَدل في كلّ الخِلافاتِ

قد جئتَ في زمنٍ لم يفهموك بهِ
وكلُّ جيلٍ يحيلُ الفهمَ للآتي

حارَت عقولُ الوَرى في فَهم حَيدَرةٍ
إلّا النبيُّ وخلّاق السماواتِ

ما أنجبت (أمُّ دفر) مذ بدايتِها
ذاتاً كذاتِك في كلِّ الولاداتِ

ما بينَ أصحابِه آخى الرسولُ وما
رأى سواكَ أخاً يومَ المؤاخاةِ

ولا ألومُ الذي غالى بحَيدَرةٍ
لكنّني لستُ من أهلِ المُغالاةِ

ضاعَت حُقوقُك في عَصربه أَلِفوا
أن يسجدوا فيه للعزّى وللّلاتِ

لولاكَ ما رَفعَ الإسلامُ رايتَهُ
خفّاقةً في الدُّنا من فَوق راياتِ

لولا حسامُك كانَ الدينُ مضيَعةً
لكلِّ أهوجَ من أهل الضَّلالاتِ

نهجُ البلاغةِ من آياتِهِ سَطَعَت
أنوارُ هَدْيٍ كأنوارٍ بمِشكاةِ

نهجُ البلاغة دستورٌ إلى أُممٍ
من فيضِه تستقي كلُّ الحُكوماتِ

يدعو إلى العَدل والأخلاقُ رائدهُ
في كلّ فصلٍ وفي شتّى العباراتِ

ما كانَ أَسعدَ قومي لو به عَمِلوا
لما خَضَعنا لقانون العُقوباتِ

مولايَ آمُلُ يومَ الحَشر تشفعُ لي
إن لم أَنَلْ عطفَكم يا طولَ آهاتي

ضاعَت حقوقيَ يا مولايَ في زَمَنٍ
وَكَم شكوتُ ولم تُسمَع شِكاياتي

وحاربَتْني الليالي فادّرعتُ لها
بحبّكمُ وَهو دِرعي في الملمّاتِ

أنتَ الإمامُ الذي نرجو شفاعتَه
يومَ الجَزاء لأصحابِ الشفاعاتِ

مواقفٌ لك في الإسلام يذكرُها
لكَ الرسولُ بعنوانِ المُباهاةِ

جلّت عن الحصر لا يُحصى لها عددٌ
مثلُ الكواكب في أُفْق السَّماواتِ

تَحنو على البائسِ المِسكينِ تُسعفُه
كأنّه لكَ إبنٌ من سُلالاتِ

تدعو لإنقاذِه من كلّ مُعضلةٍ
هذي وصاياكَ تدعو للمُواساةِ

حتّى ابنُ ملجمَ كَمْ أوصيتَ فيه وكَمْ
منحتَه منكَ عَطفاً في المَبرّاتِ

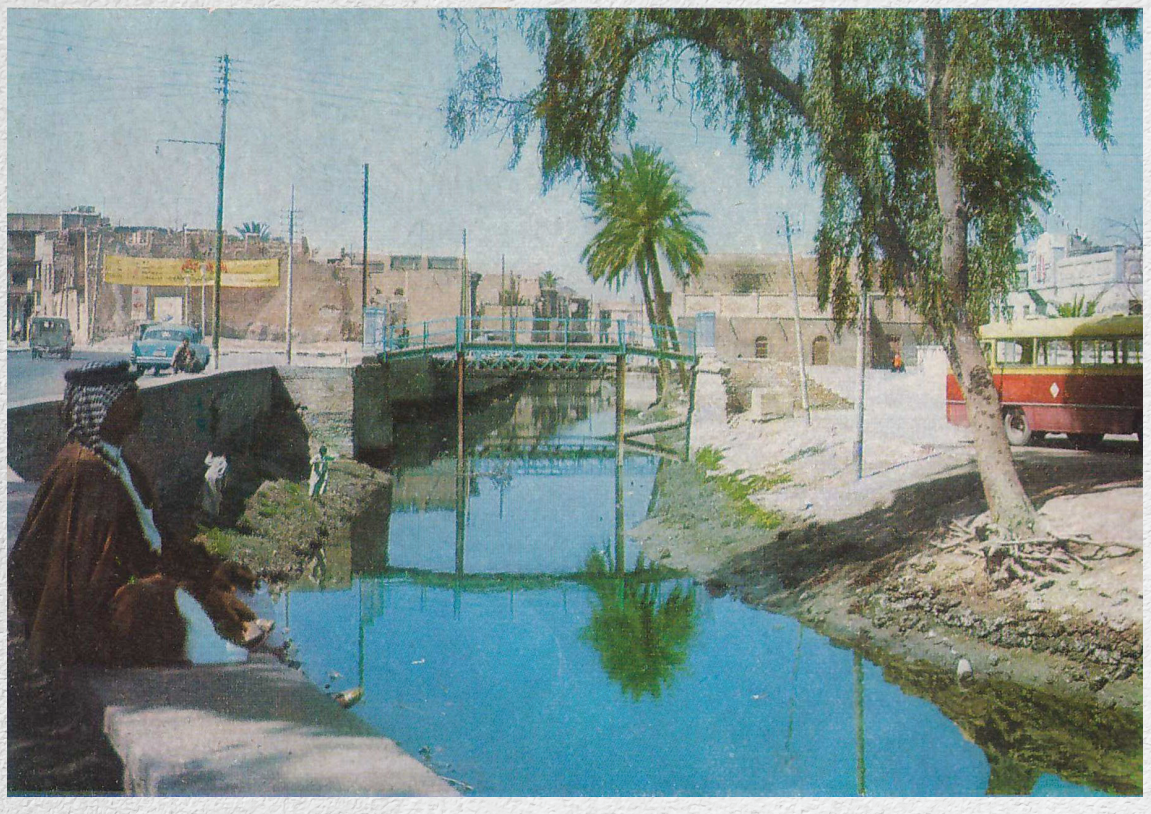
هو الذي قد جَنَت كفّاه واقترفَت
جنايةً دونَها كلُّ الجنايات

ويلُ (ابنِ ملجمَ) فالتاريخُ يلعنُه
في كلّ آنٍ بلَعْناتٍ ولعْناتِ

لولا الصلاةُ وذكرُ الله يشغلُه
لما تمكّن منهُ الغاشمُ العاتي

أبا الحسينِ ولائي ذا أُقدّمُه
لشخصِك الفذّ فاقبلْ لي مُوالاتي

إيهِ (ابن ملجم) لم تقتلْ أبا حَسنٍ
فإنّه خالدٌ في الروح والذاتِ

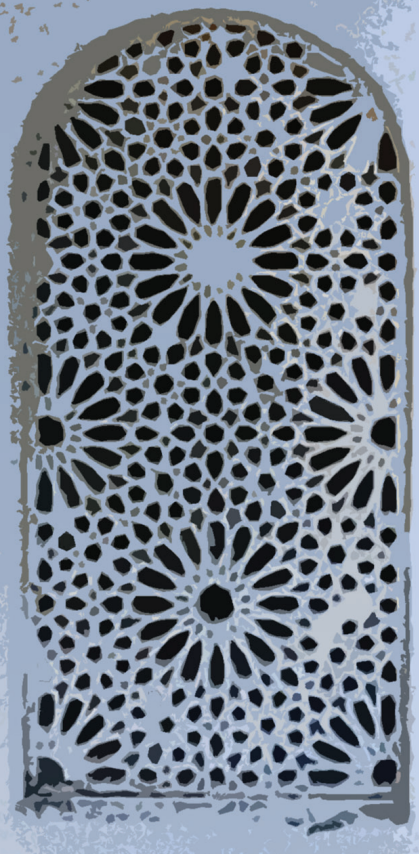


محلّة يحيى زكريّا والمجَصّة

هاتانِ المحلّتانِ القديمتانِ دُمجتا في محلّة واحدة في عام ١٩٦١م، وعُيِّنَ لها مختارٌ واحدٌ، ولا توجد في هذه المحلّة معالمُ تراثيّةٌ وأثريّةٌ تُذكر،وأمّا بيوتها، فأغلبها قديمةٌ، وتقعُ جَنوب محلّة السِّيْمَر، وقد تطرَّقَ مؤلّفُ كتاب (نزهةُ الجَليس) إلى سببِ تسميةِ محلّة يحيى زكريّا بهذا الاسم، فذكرَ أنّه لمّا زار البصرةَ في سنة ١١٣٣هـ/ ١٩١٢م، وعندما سافرَ على سفينة شراعيّة إلى البحر، كان نوخذة (ربان) السفينة يُدعى يحيى بن زكريّا، وقد سُمّيت هذه المحلّة على أسمه، وعندما توفّي، دُفنَ فيها، وبُنيت عليه قُبّةٌ تهدّمت بمرور الزمن.

محلّة التَّحسينيّة والمَعصَرَة

كانت من المحلّاتِ المتأخّرةِ في البَصرةِ رُغم مقابلتها سَرايِ الحكومةِ العثمانيّة يومذاك , وهي تقع على ضِفّةِ نهرِ العشّار الشماليّةِ، ولم يكن من جسر خشبيٍّ يربطها بالمحلّاتِ المجاورة لها، وكان أغلبُها بساتين في ذلك الزمن، إلا في سنة ١٩٣٦م، حينما أُنشئت فيها دارُ المحاكم المدنيّة (المحكمة الكبرى) في زمن متصرِّفِ البصرة، الأستاذ تحسين علي بيك، فسُمّيَت هذه المحلّة على اسمه، وهي من المحلات القديمة في البصرة، وبعد مرور (٧٩) عاماً على إنشائها فُتح فيها طريقُ العشّار الشماليُّ (الشارع الشماليّ) في سنة ١٩٦٥م في زمن متصرِّف البصرة، محمّد ندى الحيّاني، ومدير البلديّة، المهندس صلاح الدين شوقي، وهو الشارعُ الذي يربطُ دائرةَ المحاكم بالعشّار، وإلى آخر نقطة عند ساحة سعد.



أمُّ الصَّهْباء

مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، العَدَوِيَّةُ البَصْرِيَّةُ (ت٨٣ هـ/٧٠٢م): التابعيّةُ الزاهدة

ياسين يوسُف اليوسف

مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، المُكنّاةِ بأُمِّ الصَّهْبَاءِ العَدَوِيَّةُ البَصْرِيَّةُ، مِن بَني عَدِيّ الرَّباب، متفقّهةٌ زاهدةٌ، فاضلةٌ، من العالمات بالحديث، ومن عابدات البَصرة، وُلدت ونَشأت في البصرة، ولم تذكر المصادر تاريخَ ولادتها، إلّا أنَها لم تدرك النبيَّ ﷺ، ولم تسمع منه، بل سمعت من بعض الصحابة والتابعينَ، ونقلت بعضَ الأحاديث والروايات، فقد رَوَتْ عن الإمام عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام، وكذا روت عن عائشةَ، وهشامِ بنِ عامر الأنصاريّ، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم.

سيرتُها وعبادتُها وزُهدُها

الذي يتصفَّحُ المصادرَ التاريخيّةَ، يرى أنَّ معاذةَ العدويَّة كانت من نساء البصرة العابداتِ، وقد تزوَّجت برجلٍ يُدعى(صِلَةُ بنُ أشيَم)[1]، الذي وصفَهُ أصحابُ السِّير والتاريخِ بالزاهد، والسَّيد القدوة، والسيّد الكبير[2]، وروى «جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ، عَنْ مُعَاذَةَ، قَالَتْ: كَانَ أَبُو الصَّهْبَاءِ يُصَلِّي حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ فِرَاشَهُ إِلا زَحْفًا»[3]، وروي أنه «لمّا أُدخلت معاذةُ العدويَة إلى صِلَة؛ أدخلَه ابنُ أخيه الحمَّام، ثم أدخلَه بيتًا مُطَيَّبًا، فقام يصلِّي، فقامَتْ مُعاذة فصلَّتْ خلفَه، فلم يزالا كذلك حتى برقَ الفجر. قال ابنُ أخيه: فأتيتُه فقلت: أي عمّ، أُهدِيَتْ لك ابنةُ عمك الليلةَ، فقمتَ تصلي وتركتَها! فقال: إنك أدخلْتَني أَمْسِ بيتًا أذكرتَني به النار، ثم أدخلتَني بيتًا أذكَرْتَني به الجنَّة، فما زلتُ مفكِّرًا فيهما حتى أصبحتُ»[4]، ولربّما أثّرت سيرة زوجها هذه على سيرتها؛ إذ يُنقل عنها أنَّها عندما قُتل زوجُها، عَكَفت على العبادة حتّى وفاتِها عام ٨٣هـ.

وعن سيرتها وعبادتِها يذكر ابنُ الجوزيِّ في (صِفة الصّفوة)، عن «محمّد بن فضيل، قال: حدّثنا أبي، قال: كانت

مُعاذةُ العدويّةُ إذا جاء النهارُ، قالت: هذا يومي الذي أموتُ فيه، فما تنامُ حتّى تُمسي، وإذا جاء الليلُ، قالت: هذه ليلتي التي أموتُ فيها، فلا تنامُ حتّى تصبحَ، وإذا جاء البردُ لبست الثيابَ الرقاقَ حتّى يمنعَها البردُ من النَوم، وعن الحَكَم بنِ سِنان الباهليِّ، قال: حدّثتني امرأةٌ كانت تخدم مُعاذةَ العدويّةَ، قالت: كانت تحيي الليلَ صلاةً، فإذا غَلَبها النومُ، قامت، فجالت في الدار وهي تقول: يا نفسُ، النومُ أمامَكِ، لو قدمتِ، لطالت رقدتُك في القبر على حَسرةٍ أو سُرور، قالت: فهي كذلك حتّى تصبح، وكانت تقول: صحبتُ الدنيا سبعينَ سنةً فما رأيتُ فيها قرّةَ عينٍ قطّ»[٥].

ذكرها ابنُ سَعد في طَبَقاته ضمنَ النساء اللواتي لم يرْوينَ عن رسول اللهﷺ، وَرَوَينَ عن أزواجِه وغيرِهن: «مُعاذة العَدَويّة بنتُ عبد الله امرأةُ صلةَ بنِ أشيمَ، وهي من أهل البصرة. دخلت على عائشةَ وروَت عنها، أخبرَنا يزيدُ بنُ هارون، قال: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ كَيْسَانَ، قَالَ: رَأَيْتُ مُعَاذَةَ مُحْتَبِيَةً وَالنِّسَاءُ حَوْلَهَا»[٦].

وذكرها الصفدي في الوافي: «مُعاذة بنتُ عبد الله، أم الصهباء العدوية العابدة البصرية. روت عن علي وعائشة وهشام بن عامر الأنصاري. كانت تقول: وَكَانَتْ تَقُوْلُ: وَاللهِ، مَا أُحِبُّ البَقَاءَ إِلاَّ لأَتَقَرَّبَ إِلَى رَبِّي بِالوَسَائِلِ، لَعَلَّهُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الصهباء وَابْنِهِ فِي الجَنَّةِ.. توفّيت رحمها الله تعالى في حدود التسعين للهجرة، وروى لها الجماعة»[٧].

وقال عنها الذهبي : «مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، أُمُّ الصَّهْبَاءِ، العَدَوِيَّةُ، السِّيدَةُ، العَالِمَةُ، أُمُّ الصَّهْبَاءِ العَدَوِيَّةُ، البَصْرِيَّةُ، العَابِدَةُ، زَوْجَةُ السَّيِّدِ القُدْوَةِ: صِلَةَ بنِ أَشْيَمَ. رَوَتْ عَنْ: عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَائِشَةَ، وَهِشَامِ بنِ عَامِرٍ.حَدَّثَ عَنْهَا: أَبُو قِلاَبَةَ الجَرْمِيُّ، وَيَزِيْدُ الرِّشْكُ، وَعَاصِمٌ الأَحْوَلُ، وَعُمَرُ بنُ ذَرٍّ، وَإِسْحَاقُ بنُ سُوَيْدٍ، وَأَيُّوْبُ السِّخْتِيَانِيُّ، وَآخَرُوْنَ. وَحَدِيْثُهَا مُحْتَجٌّ بِهِ فِي الصِّحَاحِ. وَثَّقَهَا: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ. بَلَغَنَا: أَنَّهَا كَانَتْ تُحْيِي اللَّيْلَ عِبَادَةً، وَتَقُوْلُ: عَجِبْتُ لِعَيْنٍ تَنَامُ، وَقَدْ عَلِمَتْ طُوْلَ الرُّقَادِ فِي ظُلَمِ القُبُوْرِ»[٨].

وفي الأعلام وصفها الزركلي قائلاً: «معاذةُ بنتُ عبد الله، أمُّ الصهباء، العدويّة: فاضلةٌ، من العالمات بالحديث. من أهل البصرة. روت عن عليٍّ وعائشةَ. وروى عنها عاصم وجماعة. قال ابنُ معين: هي ثقةٌ حجّة»[٩].

قصّة في صبرها ورباطةِ جأشها

كانت معاذة امرأة صبورة عند تلقيها المصائب والشدائد، وبلغت من الحزن على زوجها أنَّها لم تتوسَّد على فراشِها بعد موته [١٠].

وهناك بعض القصص الجميلة تنقل عن هذه المرأة البصريّة، وننقل هنا قصة في صبرها ورباطة جأشها، فعند تلقيها خبرَ استشهاد زوجها وابنها في آن واحد في سنة ٦٢ للهجرة؛ إذ اسْتُشْهِدَ زَوْجُهَا صِلَةُ وَابْنُهَا فِي بَعْضِ الحُرُوْبِ، ولمّا وصلها الخبرُ، صَبرَتْ، واسترجعت، واجْتَمَعَ النِّسَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَتْ: مَرْحَباً بِكُنَّ إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِلْهَنَاءِ، وَإِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَارْجِعْنَ. وَكَانَتْ تَقُوْلُ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ البَقَاءَ إِلاَّ لأَتَقَرَّبَ إِلَى رَبِّي بِالوَسَائِلِ، لَعَلَّهُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الصهباء وَابْنِهِ فِي الجَنَّةِ[١١]، وذكرت القصة في سِيَر أعلام النبلاء باختلاف يسير[١٢]. وفي طبقات ابن سعد: >قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أنبأ ثَابِتٌ أَنَّ صِلَةَ كَانَ فِي الْغَزْوِ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ تَقَدَّمْ فَقَاتِلْ حَتَّى أَحْتَسِبَكَ، فَحَمَلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ هُوَ فَقُتِلَ، فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ عِنْدَ امْرَأَتِهِ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ، فقالت: إن كُنتُنّ جئتنّ لتهنّئني، فَمَرْحَبًا بِكُنَّ، وَإِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فارجعْنَ»[١٣].

رواياتها للحديث:

روت كتبُ التاريخ والسِّيَر العديدَ من الروايات التي تشير الى مكانةِ مُعاذةَ العلميّةِ في رواية الحديث، وقد وثّقها ابنُ حِبّانَ[١٤]، وابنُ مُعين[١٥] وقال عنها العَيْنيُّ: «الثقةُ، الحجّةُ، الزاهدةُ، روى لها الجماعةُ، وكانت تحيي الليل»[١٦]، رَوَى عَنْهَا أَبُو قِلابَةَ الْجَرْمِيُّ، وَيَزِيدُ الرِّشْكُ، وَعَاصِمٌ الأَحْوَلُ، وَأَيُّوبُ، وَعُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ، وَآخَرُونَ، وروت عن أمير

المؤمنينَ، عليٍّ عليه السلام؛ ففي الإرشاد : بالإسناد عن أحمد بن القاسم، عن إسحاق، عن نوح بن قيس، عن سليمان بن علي الهاشميّ قال: سمعتُ معاذةَ العدويّةَ تقولُ : سمعت عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) يقولُ على منبرِ البَصرة : «أنا الصدّيقُ الأكبرُ، آمنتُ قبل أن يؤمنَ أبو بكرٍ، وأسلمتُ قبلَ أن يُسلم»[17].

وروت عن عائشةَ بنتِ أبي بكر بعضَ المسائل في الفقهِ وما يخصُّ النساء من أحاديث[18]، ولعلّ هذه المرويّات كانت في البصرة قبل وبعد معركة الجَمَل.

وكذا كانت لها مراسلاتٌ مع سعيد بن المسيّب المدنيّ التابعيّ تسألُه عن بعض المسائل الفقهيّة، ينقلُ ابنُ حِبّان عن عثمان الشحّام قال: قالت معاذةُ العدويّةُ: كتبتُ الى سعيد بن المسيّب، فكتب إلينا: «أنْ ليسَ على النساء عيادةُ المرضى»[19].

وفاتها:

ورد في (صفة الصفوة) في ذكر وفاتها، عن روحِ بنِ سَلَمَةَ الورّاق، قال: سمعت عفيرةَ العابدةَ تقولُ: بلغني أنَّ مُعاذةَ العدويّةَ لمّا احتضرَها الموتُ، بكت، ثمّ ضحكت، فقيل لها: مِمَّ بكيتِ ثمَّ ضحكتِ؟ فمِمَّ البكاءُ؟ ومِمَّ الضحك؟ قالت: أمّا البكاءُ الذي رأيتم، فإنّي ذكرتُ مفارقةَ الصيامِ والصلاةِ والذكرِ، فكان البكاءُ لذلك، وأمّا الذي رأيتم من تبسُّمي وضحكي، فإنّي نظرتُ إلى أبي الصهباء قد أقبلَ في صَحن الدار، وعليه حُلَّتانِ خَضراوانِ وهو في نَفَر والله ما رأيتُ لهم في الدنيا شبهاً، فضحكتُ إليه، ولا أراني أُدركُ بعد ذلك فرضاً، فماتت قبل أن يدخل وقتُ الصلاة[20] عام ٨٣ للهجرة.

هذه سيرةٌ مختصرةٌ عن إحدى النساء البصريّات، اللواتي تركنَ بَصَماتٍ واضحةً في تاريخ البصرة، وبقيَتْ آثارهنَّ الى يومنا هذا.

الهوامش

١- تهذيب الكمال: ٣٠٨/٣٥،الثقات:٤٦٦/٥.

٢- سير أعلام النبلاء:٥٠٨/٤.

٣- طبقات ابن سعد: ١٣٦/٧.

٤- صفة الصفوة: ٣/ ٢١٩.

٥- ينظر: صفة الصفوة : ٢٢/٤،باب ذكر المصطفيات من عابدات البصرة رقم ٥٨٤.

٦- الطبقات، لابن سعد:٤٧٢/٨ رقم الترجمة٤٦٦١.

٧- الوافي بالوفيات:٤٠٩/٢٥ رقم ٤٩٢.

٨- سير أعلام النبلاء:٥٠٨/٤.

٩- الأعلام:٢٥٩/٧.

١٠- تهذيب الكمال، ٣٠٩/٣٥.

١١- تاريخ الاسلام، الذهبي: ١٩٨/٦.

١٢- بدلا من ابي الصهباء ذكر ابو الشعثاء ينظر: سير أعلام النبلاء : ٥٠٨/٤.

١٣- طبقات ابن سعد: ٩٩/٧.

١٤- ينظر : الثقات:٤٤٦/٥.

١٥- ينظر: تاريخ ابن معين:ص٢١٥.

١٦- عمدة القاري: العيني:٣٠٠/٣.

١٧- الآحاد والمثاني، الضحاك: ١٥١/١، الكامل، لابن عدي الجرجاني: ٢٧٤/٣، الارشاد، المفيد: ٣١/١، شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٢٢٨/١٣.

١٨- ينظر: سنن الدارمي: ٢٦٤/١، الكامل، ابن عدي الجرجاني:٢٨١/٣٢٥،٧/٦، تاريخ بغداد : ٢٦/٥، ٣٨١/٧، تاريخ مدينة دمشق: ٣٤١/٤٥، ٣٤٩/٤٨.

١٩- الثقات:٢٢١/٩.

٢٠- صفة الصفوة: ٢٢/٤، باب ذكر المصطفيات من عابدات البصرة رقم ٥٨٤.

قراءةٌ في كتاب (مِشْكاةُ القصّة)

د. محمّد قاسم نعمة

أصدر الكاتبُ والناقدُ والاقتصاديُّ، د. عبد الجبار الحلفيّ، كتاباً نقديّاً ضمنَ مشروعٍ ثقافيٍّ تبنّته محافظةُ البصرة بمبادرة من الاتّحاد العامّ للأدباء والكتّاب في العراق، حملَ عنوان (مِشْكاةُ القصّة: دراسةٌ نقديّةٌ في القصّة) تناولَ فيه النتاجَ القصصيَّ في البصرة بشكل خاصٍّ وفي العراق بشكل عامٍّ، في زمنٍ بدا فيه السردُ بكل أشكاله حاضراً ومهيمناً في الإبداع الأدبيّ.

في مطلع الكتاب، تحدّث الناقدُ عن منهجه، مشيراً الى استبعاده المناهجَ النصّيّة وسيلةً لمُقاربة النصوص ونقدها، ملمّحا الى اعتماده منهجَ استجابة القارئ، الذي وضعه الناقد الألمانيُّ (آيزر)، واصفاً قُدرة هذا المنهج على استغوار النصوص على اختلاف اتّجاهاتها وتباين مداخلها.

افتُتح الكتابُ بوقفةٍ عند أعمال القاصّ (كاظم الأحمديّ)؛ إذ جاءت مقاربتُه بمثابة رؤيةٍ إطاريّة، أدخلته الى عوالم هذه المجموعة من خلال إيمانه بأنّ التعبير القصصيَّ ينبغي أن يتعكّز على عناصرَ متنوّعةٍ، دون أن يفصّل في هذا الحديث، واصفاً أعمالَ الأحمديَّ بأنّها جاءت في حقبة زمنيّة تميّزت بأحداثٍ كبرى على الصعيدين المحلّيّ والقوميّ، وإنّه – أي: الكاتب – كان أميناً في نقل الواقع دون تزييف؛ من خلال اختياره لشخوصٍ جسّدوا الواقعَ، وعاشوا تفاصيلَه، ليختمَ الناقدُ مقاربتَه لهذه القصص بحديث عن الطبيعة الفنيّة للقصص، تفادى الكاتب من خلال ذلك الوقوعَ في لعبة النموذج الجديد، ذلك النموذج (الذي يبنى على لغة طوطَمِيّة تلغي الفكر والحلمَ، وتضع أُطُراً للّغة غريبةً) حسبَ قول الناقد.

يبدأ الناقدُ بالدخول الى عوالم القاصّ راصداً عناصرَ مشتركةً تؤطّر شخصيّاتِه: (القلق، القيم والتقاليد) وتحدّد مصائرَها، على الرغم من محاولته بناءَ عوالمَ افتراضيّة هي بمثابة سيرورةِ الخلاصِ من سطوة الواقع المؤلم. ويؤكّد الناقدُ الحلفيُّ أنّ كاظمَ الأحمديّ يحاول جاهداً تجميلَ الواقع، لكنّه يخطيء – على حدّ تعبيره - في اختطاف اللحظة المناسبة التي من شأنها القيام بهذه المهمّة.

إنّ ما يُلاحظُ هنا، هو لجوء الناقد في كثير من الأحيان الى مقارنة أعمال كاظم الأحمديّ بأعمالٍ أخرى لها مكانتها في عالم الأدب والفنّ، كأعمال نجيب محفوظ والطيّب صالح وسواهما من الكتّاب والروائيّين. وسنلحظ أنّ الناقد اتّبع هذا الاجراء مع نصوص قصصيّة أخرى، وهو لا يقتصر في مقارناته على مستوى القيَمَة والحَدَث، بل يطالُ ذلك الأماكنَ والشخصيّاتِ، وقد تكون هذه المقارنات غيرَ مناسبة؛ خاصّةً عندما تجري بين القصّة القصيرة والرواية، في حين أنّ القاريء يظنُّ أنّ الحديث سيقتصر على القصّة فقط؛ إذ هو ما يشي به عنوان الكتاب!

في وقفته الثانية، يتناول الناقدُ مجموعةَ (فناءاتٌ قُزحيّة) لموسى غافل الشطريّ، وقد عدّها الناقدُ من الأعمال القصصيّة الهامّة، التي لم يلتفت لها النقدُ؛ معلّلاً هذا الإهمالَ النقديَّ بوجود مرض ينخرُ في مفاصل الثقافة، أو ربّما هو مخاضُ احتقانٍ للأوضاعِ الأمنيّة والسياسيّة، التي تلقي بظلالها القاتمة على المحيط الثقافيّ. وكما وجد الناقدُ حضورَ البيئة العراقيّة في أعمال كاظم الأحمديّ، نجده ينتبه الى دور البيئة في مجموعة (فناءات قزحيّة)، واصفاً قصَصها التسعَ بأنّها نسيجٌ متشكّلٌ من فناءات قزحيّة ملوّنة، الأمرُ الذي جعل الناقدَ يشيدُ باختيار الكاتب لعنوان مجموعته، ومدى ملاءمته للواقع؛ إذ وجده يعبّر عن فناء الأشياء التي يحاول أن يكتشفها الكاتب لبناء واقع آخر.

وكعادة الناقد الحلفيّ، فقد عقدَ مقارنةً بين قصص المجموعة من حيث الموضوعاتِ وبين قصصِ كتّاب آخرين، أمثال (أحمد خلف، محمّد خضير، حسن العانيّ، محمود عبد الوهاب).

من الموضوعات الهامّة التي تناولها الناقد عبد الجبار الحلفيّ (المشهدُ القصصيُّ في البصرة)؛ إذ يمثّل هذا العنوانُ اتّجاهاً في رصد مرحلةٍ وَصَفَها الناقدُ بأنّها عصرُ القَهر والاستبداد (١٩٦٠ ٢٠٠٣م)، والحقّ إنّ هذه المرحلة تعدّ من أهمّ المراحل التي شكّلت المشهدَ القصصيّ؛ إذ كان حريّاً بالناقد وضعَها أوّلَ عنوانات كتابه؛ لأنّه بمثابة التأسيس المنهجيّ، الذي ذكر فيه بشكل مكثّف أسماءَ قصّاصين بصريّين، مبيّنا اتّجاهاتهم القصصيّةَ، وكيف إنّهم حفروا في واقعٍ مرعبٍ ليؤسّسوا لتجاربهم الابداعيّة.

في وقفته التالية، يفاجئنا الناقد بأمرين : الأول: خروجُه عن الاطار المحلّيّ، والثاني: تناولُه لعمل روائيٍّ، في حين إنّ عنوان الكتاب (دراسات نقديّة في القصّة) كما تقدّم؛ إذ تناول رواية الكويتيّ عبد العزيز محمّد عبد الله (عندما في الأسفل)، التي تؤرّخ لحادثة احتلال الكويت، وما خلّفتهُ من آثار نفسيّة ومادّيّة على الشعبين: العراقيّ والكويتيّ، مشيراً الى أنّ ضخامةَ هذا الحدث لا يمكن أن يستوعبها عملٌ كالقصّة القصيرة، وإنّ الرواية بما تمتلك من امكانيّات



تعبيريّة وفضاءات واسعة تستطيع استيعاب ذلك. ويسجّل الناقد على هذه الرواية بعض الهناتِ، التي يصفها أحيانا بالتناقض والالتباس، على الرغم من أنّ هذا الحدث على حدّ تعبير الناقد استطاع التقاط واقعةٍ زلزلت القيم في المنطقة، وفكّكت نسيج العلاقات بين شعبين شقيقين.

لم يغفل الناقدُ أعمالَ القاصّ (مهدي جبر)، الذي رحل مبكّراً، تاركاً إرثاً قصصيّاً لا يمكن تجاوزه: (هناك في عشّ اللقالق)، (الشفق)، (قلوبٌ على الزجاج)؛ إذ >تمثّل هذه الأعمالُ انثيالاتِ الذاكرةِ وانفجارَها، وإنّ من سمات القاصّ إنَه يبدأ من تجربة كيانيّة غائرة، ليؤسّس احتفاليّةً بانتصار الانسان المُكابر على الفناء<، والحديث للناقد الحلفيّ، ويواصل الناقدُ حديثَه بأنّ القاصّ لم يكن تجريبيّاً؛ فقد اكتفى بالحدود المقدّسة لهذا الجنس الأدبيّ. وكانت هذه النصوص كفيلة بأن تعرّفنا ذواتنا على الرغم من أنّها كانت تناقض حياتَه الحقيقيّة.

من المفاجآت التي يفجّرها هذا الكتابُ، تحوّلُه من كتاب في النقد الى كتاب يُعنى جزءٌ منه بنقد النّقد ندما تقارب اتّجاهات النقد القصصيّ المعاصر في العراق؛ فقد استعرض الجهودَ النقديّةَ في نقد القصّة من خلال الموضوعات الآتية :

١ـ التحوّلات في القصّة العراقية.

٢ـ تطوّرات الحركة النقديّة المعاصرة في حقل القصّة القصيرة.

٣ـ تطبيقات نقديّة

وقد برّر الناقد الحلفيُّ تناولَه لهذا الموضوع؛ سعياً منه لتوضيح صورة النقد القصصيّ وحركة تطوّره وأبرز اتّجاهاته؛ فقد تحدّث عن اتّجاهات القصّة في العراق منذ انبثاقها شكلاً تعليميّاً وخطابيّاً، ثمّ تطوّرها متأثّرةً بالأحداثِ السياسيّةِ والتحوّلاتِ الفكريّة، وتأثيرِ الآدابِ العالميّة عليها، فكان ذلك سرداً قدّم صورةً واضحةً عن مسيرة القصّة العراقيّة، رغمَ التكثيف وعدم الغوص في التفاصيل.

بعدها، نجد الناقدَ يرصدُ تطوّرَ الحركة النقديّة الحديثة، ودورَ الدكتور علي جواد الطاهر، الذي أخذ على عاتقه تأسيسَ رؤيةٍ نقديّةٍ حديثةٍ، وبعد تسليط الضوء على أبرز التحوّلات، يقسّم الحلفيُّ نُقّاد القصّة في العراق الى الآتي : (الروّاد): وعلى رأسهم د. علي جواد الطاهر، (المتبنّون للمناهج النقديّة الحديثة)، (المعتدلون). ثمّ يختم وقفتَه في هذا الاتّجاه مع عمل جادٍّ للدكتور مالك المُطّلبيّ (مرآة السرد)، وكان الدكتور الحلفيُّ موفّقا في وضع يده على أبرز مفاصل هذه المقاربة النقديّة، التي طبّقَ من خلالها مالكٌ المطلبيّ منهجاً بنيويّاً صارماً، حقق من خلاله قراءةً دقيقةً لبنية مجموعة قصص محمد خضير (المملكةُ السّوداء).

يعود الناقد الحلفيُّ ليقفَ عند مجموعة (الولدُ الكبير) القصصيّة، للقاصّ حسن العاني، وقد رصد في هذه المجموعة جملةَ مَظاهر (زمن القصّ، الثنائيّات المتقاطعة، البناء اللغويّ).

يقف الحلفيُّ أمامَ عمل الكاتب محمود عبد الوهاب (رغوةُ السَّحاب) متسائلا: هل يمكن عدّ هذا العمل رواية ؟

ويجيب عن هذا السؤال بقوله: إذا كانت الروايةُ الحديثةُ لعبةً ماكرةً لساردٍ ذكيٍّ، فقد فعلها (محمود عبد الوهاب)، وقد اتّخذ الناقدُ هذا الموضوعَ مناسبةً للحديث عن الأعمال السرديّة العابرةِ للنوعِ؛ إذ تميّز عمل محمود عبد الوهاب بأنّه مارسَ أسلوبَ التجاوزِ، الذي يلجأ أغلبُ النصوص الروائيّة إليه، ليختتم الناقدُ حديثَه عن رواية (رغوة السحاب) بقوله : إنّ كاتبها حاولَ الكشفَ عن الواقع من خلالِ بدائلَ فنيّة عبرَ الشكل الروائيّ الجديد.

ربّما استطابَ للدكتور الحلفيّ الحديثُ عن الرواية، فعقد مقارنةً بينها وبين الشعرِ، مبيّنا المَلَكَةَ والسحرَ الذي علق في الرواية، فجعلها تتفوّق على الشعر، وإنّها أكثرُ تعبيراً

عن الهويّة الثقافيّة، وفي حديثه عن الحالةِ العراقية، وصف الروايةَ بأنّها لم تنحدر الى مقايضةِ السلطةِ الدكتاتوريّة، بينما تمكّنت السلطةُ من ترويض الكثير من الشعراء، ويعضدُ حديثَه عن الرواية بالاشارة الى مقالٍ كتبه نجيب محفوظ، يشير فيه الى أنَّ الروايةَ سحبت البساطَ من تحت أقدام الشّعرِ؛ لأنّها تقدّمُ احتياجاتِ المجتمع الانسانيّة.

يختمُ الدكتورُ الحلفيُّ كتابَه النقديَّ بالحديث عن مجموعة عبد الستّار ناصر القصصيّة (الرغبةُ في وقتٍ متأخّر)، ويخصّصُ الحديث بالكلام عن قصّتين؛ لأنّه وجد فيهما اختلافاً وتمايزا.

أستطيعُ القولَ: إنّ الدكتورَ عبد الجبّار الحلفيّ قدّم من خلال كتابه جهداً متميّزاً، تابع فيه المشهدَ القصصيَّ العراقيَّ بشكل عامٍّ والبصريَّ بشكل خاصٍّ، راصداً كبرى الظواهر الموضوعيّة والفنيّة؛ إذ عرّف القرّاء بأبرز كتّاب القصّة في العراق منذ نشوئها الى لحظة تألّقها، لكنّني كنتُ أتمنّى على الناقد أن يرتّب كتابَه ترتيباً آخرَ يراعي فيه العامّ والخاصّ من الأفكار، كذلك كنت أتمنّى عليه أن يشير الى دراساتِه للرواية من خلال العنوان؛ لأنّ عنوان الكتاب يشير الى اقتصاره على القصّة فقط، في حين اشتمل الكتاب على وقفات هامّة للرواية في مواضع متفرّقة.

الكتابُ جديرٌ بالقراءة؛ لأنّ مؤلّفَه شهدَ المرحلةَ، وعاشَ تفاصيلَها، وكانَ أحدَ أبطالها.





إيمان طالب داود

يقول الإمامُ الصادق عليه السلام في مناجاته : «وارحم تلكَ الوجوه الّتي غيّرتها الشمس»[1]. عندما أُنعمُ النظر إلى صور الشُّهداء، أرى خلفَ تلك السُّمرة التي اجتاحت معالمَ وُجوههم نوراً لا يراهُ إلّا مَن آمن بأنّ لهم مقاماً محموداً عند ربِّهم.

ذلك المقام الذي أهَّلهم ليكونوا في هذا الرّكب الجليل، مُضحِّين، تاركينَ الملذّات التي كانوا ينعمون بها في الدُّنيا كلَّها، لم يتعلّق قلبهم بفنائِها، كانت أبصارُهم شابحة نحوَ رضا الإله، وحماية الأرض والعرض، وكأنَّ لسان حالهم يقول: «إلهي.. رضىً برضاك».

ونبقى مع أوسمة شرف مدينة البصرة، وهذه المرّة مع الشَّهيد محمّد الفضل.

وُلِدَ الشَّهيدُ في محافظةِ البصرةِ / قضاءِ القُرنةِ (الشَرِش)، بتأريخ : (٢٥ / ٣ / ١٩٩٣).

دَرَسَ الإبتدائيّة في مدرسةِ (المثنّى)، وأنهى المتوسّطة في مدرسة (صَفَد) للبنين، والتحقَ بإعداديّةِ الصّناعةِ، ومنها إلى إعداديّةِ (القُرنةِ) المسائيّة.

كان الشَّهيدُ (محمَّد) يتّصفُ بالرَّزانةِ، وحُسن الخُلق، والشَّهامة، والشَّجاعة، وقد كان الأبنَ البارَّ، والأخَ الحنونَ، والصديقَ الوفيَّ..

يشعرُ أقرباءُ الشَّهيدِ أنّه شابٌّ مُباركٌ وهادئٌ، ولكن، على الرَّغم من هدوئهِ، فقد كان في قلبهِ بركانٌ من الغيرة والشَّهامةِ اللّتانِ امتاز بهما أيضاً..

يُنقل أنّه لم يكن ينم في اللّيلِ كثيراً، وربّما لا ينام حتى يستيقظ أهل منطقته؛ لشدّة اهتمامه بمَن يدخل المنطقة ومَن يخرج منها.. وهذا ما لا يعرفه إلّا أهله.

في عام (٢٠١٢) قام شهيدنا مع مجموعة من الشباب بتأسيس موكب لخدمة سيد الشهداء عليه السلام على نفقتهم الخاصّة، وأطلقوا عليه اسم (أنصار العقيلة).. واستمرّ بتقديم الخدمات للزائرين لثلاث سنوات قبل استشهادهِ.

و لم يترك السيرَ نحو كربلاءَ في أربعين الإمام الحسين عليه السلام منذُ صباه.

في أحدِ أيّامِ شهرِ محرَّمٍ الحرام الذي تلى استشهادهِ، أثناء تعزية سيّد الشُّهداء عليه السلام، سأل أحدُ المعزّين أحدَ إخوة الشَّهيد : أين الشَّاب الذي كان يخدم هنا العام الفائت ؟، فكان الجواب: ((أخي استُشهد))..

لم تختلف طفولتُه عن طفولةِ باقي أقرانهِ، هاوٍ لكرةِ القدمِ، وفي شبابهِ كان محبّاً لرحلاتِ الصَّيدِ في الأهوارِ، وبارعاً بالصَّيد، وكلَّما ذهبَ في رحلةٍ، عادَ محمّلاً بأنواعِ الطُّيورِ التي اصطادها.

حتّى صَدَرَت فتوى الدِّفاع الكفائي، فسارع للالتحاق مع أصدقائهِ بعد ثلاثةِ أو أربعةِ أيّام من صدورِها، ثمّ سارعوا إلى الانضمام إلى الحشد الشعبي المبارك، تحت إمرة الفرقة (١٧) في (المحموديّة)، فأخذوا مهامّ حماية حزام بغداد (اليوسفيّة، والشاخات)، وخاضوا هناك معارك شَرِسَة، وصولاً إلى مشارفِ (عامريّةِ الفلّوجةِ).

بعد تحرير هذه المنطقةِ، عادَ الشَّهيدُ إلى معسكر (الشعيبة)، ودَخَلَ مع الأفذاذِ دوراتٍ تدريبيّةٍ على أغلبِ أصناف الهندسة العسكريّة، منها :(الألغامُ، و القنَّاصُ، و صناعةُ العبواتِ).

بعدها تشكّل لواء (المختار)، وكان الشَّهيدُ (محمَّد) أحد مؤسسي اللواء، وواضعي لبناتهِ الأولى، التحق إلى بغداد في معسكر الشرطة الاتحاديّة في قاعدة (الصَّقر)، حيث تقدّموا إلى (بلد) ثم إلى (سامراء)، وخاض معارك في قاطع (ناظم الثرثار).. حيث حدث هجوم فقدت فيه إحدى المركبات التابعة للحشد المبارك، فرفضَ الشَّهيدُ الرجوعَ إلا بعد أن يعيدَها..

وهكذا عادَ لاسترجاعها، إلّا أنّ المركبة التي كان يستقلّها تعرقلت بانفجار عبوة كانت مزروعة في الأرضِ أدّت إلى إصابتهِ بجروحٍ عديدةٍ، حتى حلّقت روحه هناك بتأريخ (٩ / ١٠ / ٢٠١٥).

وقد كانت من أصعبِ اللّيالي على عائلتهِ، حتّى قبل علمهِم باستشهادهِ، فقد بقوا على اتصال به حتّى منتصف الليل، وكأنّهم يعلمون بقربِ رحيلهِ.. وعلى وجهِ الخصوصِ والدته التي شاب قلبُها ألماً لرحيلهِ..

بعد استشهادهِ، قامَ إخوته وأصدقائه، الذين لم يبقَ منهم إلّا القليل بعد التحاق أغلبهم بركبِ الحشدِ المبارك، وعدد من الأطبّاء بتأسيس جمعيّة (شباب الشرش الخيريّة)؛ لمساعدة أيتام وفقراء المنطقة.

فرحم اللهُ تلك الوجوهَ النيّرة، والنفوسَ الأبيّة، والأرواح الطاهرةَ، وحشرَها مع أرواح الصدّيقين والشهداء، وحَسُن أولئك رفيقا.

الهوامش

١- الكافي:٤/ ٥٨٣.

التِفاتة

منذُ صدور (الخُطوَة)، ومن خلالها، نسعى لتقديم المزيد من المعلومات الثقافيّة الخاصّة بتاريخِ وتراثِ مدينة البصرّة.

وقد لا تختصّ هذه المعلومات بمحيط المجتمع البصريّ، بل تتجاوزُ في الكثير من الأحيان رقعتَه الجغرافيّةَ، لتصل الى كلّ من يطّلع على المجلّة أينما كان، وحيثما وجد؛ لذا تأتي (الخطوة) كضرورة ثقافيّة في مسار الثقافة البصريّة، وعلى الرَّغم من أنّ مدينة البصرة مدينةٌ ذاتُ تاريخ عميق وحضارة قديمة، فقد سبقت الكثيرَ من المدن الأخرى بمجالات عدّة، إلا أنَّ التاريخ لم ينصفْها، وبقيت تعاني من جهل الآخرين على أغلب الأصعدة المعرفيّة، مع أنّها لم تكن يوماً ما منغلقة، بل كانت موئلاً ومقصداً للمبدعين، ولمَنْ يرومونَ الإبداعَ في جميع الجوانب المعرفيّة المختلفة، كاللغة، والأدب، والفقه، والحَديث، وغيرِ ذلك من العلوم، وكان لعلماء البصرة الدورُ الكبيرُ في حِفظ ونشرِ الثّقافة والمعرفةِ في أغلب الحقولِ المعرفية، فاستطاعت عبرَ قُرون من الزمن أن تمدَّ الثقافةَ البشريّةَ بروافد معرفيّة حيويّة متميّزة .

وهنا يأتي الدّور الكبير لمجلة (الخطوة)؛ لتسليط الضوء على هذه الحركة الثقافيّة الشاملة لعلماء البصرة ومثقّفيها ومبدعيها قديماً وحديثاً، وهذه المهمَّة ليست بالسّهلة، خصوصاً ونحن نواجه أنماطاً من الثقافات الدخيلة، وانتشاراً واسعاً لمفاهيم إسفافيّة سطحيّة عبر المواقع الإلكترونيّة للتواصل الاجتماعيّ، هدفُها الرئيسُ عزلُ الشباب عن تاريخهم وتراثهم، وحجبُ الجوانب المشرقة من تراثنا الأصيل، هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر، نحنُ نواجه فهماً خاطئاً لتاريخ هذه المدينة العريقة، لكنّنا نسيرُ نحو الهدف، والله المُستعان.

• مدير التحرير

قصيدةٌ تؤرِّخ سنة صدور مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة

البصرةُ الفيحاءُ سِمْطُ نُضارِ ... زادتْ به حُسناً على الأمصارِ

جَذلى الكواكبُ وهي تحرسُ جيدها ... بالفاتناتِ قلائدِ الأنوارِ

كي يكتبَ الدؤليُّ نحواً للوَرَى ... مِن هَدي سيّدنا أبي الأطهـــــارِ

ويروحَ ذاكَ العَبقريُّ مؤسِّساً ... تحتَ النخيلِ مُراقِصَ الأشعارِ

ولِتشهدَ الدّنيا بأنّ ربوعَنا ... مِن ذي الخُريبة مَولدُ الأفكارِ

ولذاكَ قدْ غَمَر النفوسَ بجودِهِ ... فاستبشِري خيراً بخيرِ قرارِ

قدْ أعلنَ (الصّافي) فأسَّس مركزاً ... يُحيي تراثَ مدينةِ الآثارِ

في مولدِ المهديِّ، حُجّةِ عصرِنا ... مُحيي العقيدةِ، قاصِمِ الكفّـــارِ

سأخطّ في كفِّ الهلالِ سخاءَهُ ... رَوْضٌ يُجيبُ مُسَائلاً بثمارِ

مِنْ بينِ ألوانِ العَطاءِ مجلّةٌ ... علميّةٌ كَانتْ مُنى الأنظارِ

مِنْ بَصْرَتِي وَتُرَاثِهَا صَاغَتْ لها ... إسْماً، فكَانَ تَزَيُّناً بِوَقَارِ

فاكتُبْ على سَعَفِ النَّخِيْلِ مُؤرِّخاً: ... (قَمَرٌ يُراقِصُ أنْجُمَ العَشَّارِ)

(٣٤٠+٤٠١+٩٤+٦٠٢)= ١٤٣٧هـ

شعر: د.عامر السّعد



أحد الانهر الفرعية لشط العرب ستينات القران الماضي